مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٣)، ص ص ١٢٢٥-١٢٨٣، (رجب ١٤٤٣ هـ/ فبراير ٢٠٢٢)

المفارقة في مقالات حسين سرحان

د. وليد بن عبد الله بن مسفر الدوسري
أستاذ النقد ومنهج الأدب الإسلامي المشارك، قسم اللغة العربية بكلية التربية بالخرج
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

ملخّص البحث:

سيدرس هذا البحث أنواع المفارقة في مقالات حسين سرحان، وذلك للتعرف على خصائص المفارقة هناك، وتحديد وظائفها، وتوضيح قدرتها على تحقيق الجمالية في تلك المقالات.

ويقوم البحث على المنهج الإنشائي، ويتكون البحث من مبحثين، هما: المفارقة اللفظية، ومفارقة الموقف.

أمَّا المفارقة اللفظية فشكل من أشكال القول، يُساق فيها معنى ما، في حين يقصد فيه معنى آخر، يخالف غالبًا المعنى السطحي الظاهر، ولها عدة أنواع، هي: العنوان، والتضاد الدلالي، والتشبيه، والتناص، والمدح بدل الذم.

وأمَّا مفارقة الموقف فتكون بسبب حالة أو حدث يرى في إطار المفارقة، ولها عدة أنواع، هي: الأحداث، والدرامية، والتقابل، والسخرية، والاستحقاق.

الكلمات المفتاحية: السخرية الأدبية، الإنشائية، المقالة، الأجناس الأدبية، الأدب السعودي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا بحث بعنوان: (المفارقة في مقالات حسين سرحان)، جاء اختياره لأسباب متعددة، ومن أبرزها أنه يتناول المفارقة، وهي من العناصر الجمالية التي تعمل على تحقيق شعرية العمل الأدبي مهما كان جنسه الذي ينتمي إليه. ومنها أنه يركز على المقالة، والدراسات التي تناولت المفارقة في المقالة نادرة، مع أنها نوع أدبي مرن، تتنوع موضوعاتها، ويتراوح أسلوبها بين الشعر والسرد. ومنها أيضًا أن هذا البحث يتناول بالدراسة مقالات حسين سرحان الذي يعد من أبرز أعلام الأدب السعودي، وذلك بهدف تسليط مزيد من الضوء حوله خاصة، وحول الأدب السعودي عامة.

ويقوم هذا البحث على المنهج الإنشائي؛ إذ يسعى البحث إلى تحديد أنواع المفارقة في مقالات حسين سرحان، مع وصفها وتحليلها، واستخلاص الظواهر العامة التي تبرز فيها، وبيان وظائفها.

وليست هناك دراسة عن هذا الموضوع بالصفة السابقة على حد علمي، ولعل أقرب دراسة حول هذا الموضوع دراسة بعنوان (ظاهرة السخرية في نثر حسين سرحان مع موازنة بينه وبين المازني) [(١)]، وجاءت في كتيِّب صغير، يتكون من بضع وثمانين صفحة، تحدث فيها مؤلفها عن مفهوم السخرية وأطوارها عند حسين سرحان، ودوافع السخرية واتجاهاتها عنده، والموازنة بين سخريته وسخرية المازني. ويكمن الفرق بين هذا البحث وتلك الدراسة في موضوعيهما، فالسخرية تتداخل مع المفارقة، ولكنهما غير

---

(١) الحيدري (عبد الله)، مطابع الحميضي، ط١، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

متطابقين، ولا تدخل كل سخرية ضمن المفارقة، ويضاف إلى ذلك أن المفارقة أنواع كثيرة متعددة، تضم السخرية وغيرها.

ويهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما تعريف المفارقة؟ وما أنواعها؟ وما مدى قدرة المقالة على استيعاب تلك الأنواع؟ وما الملامح العامة التي تحدد كل نوع في مقالات حسين سرحان؟ وما وظائفها في تلك المقالات؟

ومدونة البحث كتاب (الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأديب الكبير الأستاذ حسين سرحان)، والكتاب يقع في ثلاثة مجلدات، وقد جاءت المقالات في المجلدين الثاني والثالث منه، وصنفت فيهما وفق موضوعاتها، وذلك مع ترتيبها زمنيًّا وفق تواريخ نشرها أول مرة في الصحف أو المجلات أو غيرها [١].

وتكوَّن البحث من مقدمة، جاء بعدها تمهيد، عرَّفت فيه المفارقة لغة واصطلاحًا، ثم قدمت نبذة موجزة عن حسين سرحان. وجاء بعده مبحثان، درست في المبحث الأول المفارقة اللفظية، وبدأت بتعريفها، ثم تحدثت عن أنواعها في مقالاته، وهي: العنوان، والتضاد الدلالي، والتشبيه، والتناص، والمدح بدل الذم. ودرست في المبحث الآخر مفارقة الموقف، وبدأت بتعريفها، ثم تحدثت عن أنواعها في مقالاته، وهي: الأحداث، والدرامية، والتقابل، والسخرية، والاستحقاق. وجاءت بعدهما الخاتمة، وفيها ذكرت أبرز النتائج والتوصيات، ثم أوردت قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

هذا والله الموفق والمستعان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) الناشر: عبد المقصود محمد سعيد خوجة، ط١، جدة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

التمهيد

أولا: التعريف بالمفارقة:

١-التعريف اللغوي:

المفارقة في اللغة مأخوذة من الجذر (فَ رَ ق)، وفعلها الماضي (فَارق)، وقد جاء في لسان العرب: "فارَقَ الشيءَ مُفَارقةً وفِرَاقًا بايَنَهُ، والاسم الفُرْقة، وتَفَارق القومُ: فَارَقَ بعضُهم بعضًا. وفَارَقَ فلانٌ امرأَتَه مُفَارقةً وفِراقًا: بايَنَها" (١). وجاء فيه أيضًا: "الفَرْقُ الفصْل بين الشيئين، فَرَقَ يَفْرُقُ فَرْقاً فصل" (٢). وجاء فيه أيضًا: "تَيْس أَفْرَقُ: بعيد ما بين القَرْنَيْن. وبعير أَفْرَقُ: بعيد ما بين الـمَنْسِمَيْنِ" (٣).

ويتضح مما سبق أن لفظة (مُفَارقة) مصدر على وزن (مُفَاعَلَة)، ويجوز في المصدر أيضًا (فِراق) على وزن (فِعال)، كما يتضح أن معاني المفارقة في اللغة تدور حول المباينة والانفصال والتباعد، وهذا يدل على وجود جانبين في المفارقة على الأقل، يختلف كل منهما عن الآخر، ويتجافى عنه.

٢-التعريف الاصطلاحي:

يصاحب مفهوم المفارقة بعض الغموض، ولهذا يصعب تقديم تعريف واحد جامع مانع لها، ومما زاد صعوبة تعريفها إشكالية تعدد مصطلحاتها باللغة الإنجليزية، وأبرز تلك المصطلحات: (Irony)، و(paradox)، و(sarcasm)

---

(١) ابن منظور (محمد)، لسان العرب، دار صادر، د. ط، بيروت، د. ت، ١٠/ ٣٠٠.

(٢) نفسه، ص٣٠١.

(٣) نفسه، ص٣٠٢.

[١]. والمشهور في كتب النقد الأدبي هو اختيار المصطلح الأول. وأما في اللغة العربية فإن مصطلح (المفارقة) هو أحسن الحلول السيئة لترجمته [٢]. ويضاف إلى ذلك أن المفارقة -كما يقول ميويك- مثل سفينة؛ كلما ألقت مراسيها سحبتها الرياح والتيّارات بعيدًا [٣]، فمفهوم المفارقة غير مستقر؛ لأنها ممارسة أدبية ذات جذور تاريخية طويلة [٤]. ونتتبع هنا بإيجاز مفهوم المفارقة عبر التاريخ؛ لنتعرف على أبرز التطورات التي طرأت عليه، ونصل بعد ذلك إلى تعريفها.

أ-مفهوم المفارقة عند القدماء:

نبدأ باليونانيين الذين ظهرت عندهم المفارقة ممارسة، وعلى سبيل المثال كان سقراط معروفًا بأسلوب التهكم، فقد كان يتصنَّع الجهل، ويتظاهر بالتسليم بأقوال محدِّثيه عند مناظرتهم [٥]، وقد انتبه تلميذه أفلاطون لذلك الأسلوب، وسماه

---

(١) انظر: شوقي (سعيد)، بناء المفارقة في الدراما الشعرية، إيتراك للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣١-٣٢.

(٢) انظر تعليق عبد الواحد لؤلؤة في هامش الترجمة: مجموعة من المؤلفين، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ١١٤/٤.

(٣) انظر: نفسه، ١٢٩/٤.

(٤) انظر: سليمان (خالد)، المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، ط١، عمَّان، ١٩٩٩م، ص١٤.

(٥) انظر: كرم (يوسف)، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. ط، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ص٦٦.

(الاتِّضاع التهكُّمي) [١]، وكانت لأفلاطون نفسه محاورات، يتوارى فيها أحيانًا وراء شخص أستاذه سقراط، ويستخدمه لأغراضه، ويُنطقه بأفكاره [٢]. ومن الناحية النظرية أشار أرسطو إلى أحد أشكال المفارقة عندما ذكر مفهوم (التحَوُّل)، ومثَّل له، فقال: "التحَوُّل هو تغيُّر مجرى الفعل إلى عكس اتجاهه على النحو السابق ذِكره، على أن يتفق ذلك مع قاعدة الاحتمال أو الحتمية كما قلنا آنفًا، ففي تراجيديا (أوديب) مثلا؛ يأتي الرسول وفي تقديره أنه سيُبْهِج أوديب، ويخلصه من مخاوفه المتعلقة بأمِّه، ولكنه يحدث عكس التأثير الذي انتواه، عندما يُطلعـــه على سِرِّ مولده ..." [٣].

ولفظة المفارقة لم تحضر عند العرب القدماء بالمعنى الاصطلاحي [٤]، ولكنهم مارسوها، وتداخلت عندهم مع مصطلحات أخرى، يتقارب كل منها مع المفارقة من جهة، ويتباعد عنها من جهة أخرى، ومن أبرز تلك المصطلحات: تأكيد الذم بما يشبه

---

(١) أفلاطون، جمهورية أفلاطون، ترجمة: حنا خباز، مؤسسة هنداوي، ط١، القاهرة، ٢٠١٧م، ص٢٨.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٦٤.

(٣) أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط، القاهرة، د. ت، ص١٢٢.

(٤) أجريت بحثًا في المكتبات الإلكترونية عن لفظة (المفارقة) في كتب الأدب والبلاغة والنقد في التراث العربي فلم تظهر لي تلك اللفظة إلا بمعناها اللغوي.

المدح وعكسه [١]، وتجاهل العارف [٢]، والتعريض [٣]، والتهكم [٤]، والتورية [٥]، والتوهيم [٦].

ب-مفهوم المفارقة عند المحدثين:

بدأت المفارقة تأخذ مفهومها الجديد عند النقاد الأوربيين وبخاصة الألمانيين عند نهاية القرن الثامن عشر، وارتبطت في بدايتها بالاتجاه الرومانسي الذي يُعدُّ فردريك شليجل من أوائل منظِّريه، وهو أيضًا من أوائل الذين استعملوا مصطلح المفارقة في المناقشة الأدبية الحديثة، وربط المفارقة بفكرة التناقض [٧]، وذلك عندما يناقض المعنى

---

(١) يقترن هذان اللونان بحضور الاستثناء معهما. انظر: القزويني (جلال الدين)، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٨٠-٢٨٢.

(٢) تجاهل العارف: "سوق المعلوم مساق غيره لنكتة". الإيضاح، ص٢٨٥.

(٣) التعريض: "اللفظ الدالُّ على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي والمجازي". ابن الأثير (نصر الله)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د. ط، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ١٩٨/٢.

(٤) التهكم: "الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء". ابن أبي الإصبع (عبد العظيم)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ط، مصر، د. ت، ص٥٦٨.

(٥) التورية: "أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويراد به البعيد منهما". الإيضاح، ص٢٦٦.

(٦) التوهيم: "أن يأتي المتكلم في كلامه بكلمة، يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيفها، ومراده على خلاف ما يتوهمه السامع فيها". تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص٣٤٩.

(٧) انظر: ويليك (رينيه)، تاريخ النقد الأدبي الحديث، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المجلس الأعلى للثقافة، د. ط، القاهرة، ١٩٩٩م، ٣٢/٢-٣٤.

الظاهر المعنى الباطن، ولا شك أن المقصود هو الأخير، وهذا يوضح سبب قول كيركغارد إن المفارقة تشكك في المظاهر [١]، فالمعنى الظاهر غير مقصود، وهناك معانٍ أخرى كامنة، وهذا يذكرنا بتعريف نورثرب فراي للمفارقة، فقد ذكر أنها "وسيلة لقول أقل ما يمكن، وتحميل ذلك القول أكبر ما يمكن من المعنى" [٢]. ونستشف من التعريف السابق أن المفارقة صناعة مقصودة، وأنها جدلية ممتدة، وهذا يقودنا إلى تعريف واين بوث الذي ذكر أن المفارقة: "لعبة لغوية ماهرة وذكيَّة بين طرفين: صانع المفارقة، وقارئها. على نحوٍ يقدِّم فيه صانعُ المفارقة النصَّ بطريقة، تستثير القارئ، وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفيّ الذي غالبًا ما يكون المعنى الضدّ، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال، إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه؛ ليستقرَّ عنده" [٣].

ودخلت المفارقة مجال الدراسات النقدية العربية الحديثة منذ أواخر السبعينيات ومطالع الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي، ومن أوائل تلك الدراسات ما نجده في المبحث الخاص بالمفارقة التصويرية في كتاب (عن بناء القصيدة العربية الحديثة) لعلي

---

(١) انظر: هيرنادي (بول)، ما هو النقد؟، ترجمة: سلافة حواجي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٩م، ص١٢٧.

(٢) فراي (نورثرب)، تشريح النقد: محاولات أربع، ترجمة: محمد عصفور، الجامعة الأردنية، د.ط، عمَّان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص٥٠. وقوله يذكرنا بقول العرب: "البلاغة: إجاعة اللفظ، وإشباع المعنى". القيرواني (الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٢٤٢/١.

(٣) نقلا عن: إبراهيم (نبيلة)، المفارقة، مجلة فصول، القاهرة، المجلد٧، العددان٣-٤، إبريل-سبتمبر ١٩٨٧م، ص١٣٢.

عشري زايد، فقد تناول فيه أنماط تلك المفارقة من جهة مصدرها: التراث، أو الواقع. وهو يصفها بأنها: "تكنيك فني، يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين بينهما نوع من التناقض" [(١)]. والوصف السابق يرتكز على فكرة التناقض التي تحضر دائمًا في تعريف المفارقة، ولكنه يشترط حضور طرفين متناقضين، يكون الطرف متكاملا أو مُفَكَّكًا إلى أجزاء، وهذا الوصف خاص بالمفارقة التصويرية [(٢)]، ولا ينطبق على جميع أنواع المفارقة، فمن المعروف أن صانع المفارقة قد لا يصرِّح بالطرفين، ويجعل أحدهما مبطنًا أو ضمنيًّا.

ومن المحاولات المبكرة أيضًا إشارات سيزا قاسم إلى المفارقة ضمن الظواهر الفنية في بعض القصص العربية المعاصرة، وهي ترى أن المفارقة: "لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي، وأكثرها تعقيدًا، تستخدم لقتل العاطفية المفرطة، وللقضاء على المظهر الزائف، ولفضح التضخيم الفكري" [(٣)]. والإشارة السابقة أقرب للوصف منها للتعريف، ويظهر تأثرها بتعريف واين بوث السابق، وبخاصة في وصف المفارقة باللعبة.

وظهرت -بعد ذلك- دراسة متخصصة في المفارقة لنبيلة إبراهيم التي تعرفها بأنها "تعبير لغوي بلاغي، يرتكز على العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية والتشكيلية" [(٤)]. ويميل تعريفها إلى العموم، فهي تكتفي بتحديد أن المفارقة تنتمي

---

(١) زايد (علي)، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مطبعة ابن سينا، ط٤، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٣٠.

(٢) توافق هذه المفارقة ما يسمى بمفارقة التقابل التي تنتمي إلى مفارقة الموقف.

(٣) قاسم (سيزا)، القص العربي المعاصر، مجلة فصول، القاهرة، المجلد٢، العدد٢، يناير، فبراير، مارس ١٩٨٢م، ص١٤٤.

(٤) المفارقة، ص١٣٢.

إلى علمي اللغة والبلاغة، وأنها تستند إلى العلاقات العقلية أكثر من استنادها إلى العلاقات الحسية.

ولعل تعريف واين بوث الذي سبق ذكره هو أقرب تعريف لمفهوم المفارقة ؛ لأنه يورد عناصر المفارقة: المرسِل، والمستقبِل، والرسالة. كما أن تعريفه يشير إلى عنصر المخاتلة في المفارقة، فهي ذات وحدة بنائية، لكنها تشع بدلالتين أو موقفين على الأقل، ويغلب أن تكون العلاقة بينهما علاقة ضدية، وهنا يظهر عنصر التضاد في المفارقة، ويوضح التعريف دور المستقبِل الذي يتمثل في إدراك المعنى العميق بعد إزاحة المعنى السطحي عندما يدرك تضارب الكلام.

ثانيا: التعريف بحسين سِرْحان:

هو حسين بن علي بن صويلح بن سِرْحان الرويس العتيبي، ولد في مكة المكرمة عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، وعاش يتيمًا، ورباه جده لأمه، وتلقى تعليمه الأول في الكتاتيب، وفي المدارس النظامية كمدرسة الفلاح بمكة المكرمة، ولكنه انقطع عن الدراسة، ولم يحصل على الشهادة الابتدائية، وانصرف إلى التعلم الذاتي عن طريق القراءة، فقرأ كتب التفسير والحديث والأدب واللغة، واطلع على الآداب الغربية المترجمة.

عمل في بداية حياته في بعض الأعمال الحرة، ثم تنقل في عدة وظائف في وزارة المالية، ثم أصبح رئيسًا للجنة التنفيذية لتوسعة الحرم المكي، ثم رئيسًا للتحرير بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة لمدة عشر سنين إلى أن أحيل للتقاعد عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م،

وابتعد عن الحياة الاجتماعية العامة، وكانت وفاته -رحمه الله- بمكة المكرمة عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م [(١)].

ونشرت عدة دوريات سعودية قصائده ومقالاته وقصصه، وذلك من سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م إلى سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ومن تلك الدوريات: أم القرى، والبلاد السعودية، والرياض، وصوت الحجاز، وعكاظ، وقريش، والمدينة، والمنهل، والندوة.

---

(١) أفدت في ترجمة حياته من عدة مراجع، منها:

-الحيدري (عبد الله)، آثار حسين سرحان النثرية: جمعًا وتصنيفًا ودارسة، النادي الأدبي، د. ط، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ١/٢٧-٨٢.

- الساسي (عبد السلام)، شعراء الحجاز في العصر الحديث، النادي الأدبي، ط١، الطائف، ١٣٧٠هـ، ص ١٣٩.

- عبد المقصود (محمد) وبلخير (عبد الله)، وحي الصحراء: صفحة من الأدب العصري في الحجاز، الناشر: عبد المقصود محمد سعيد خوجة، ط٢، جدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٩٣.

- مجموعة من المؤلفين، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، د. ط، الرياض، ١٤٣٥هـ، ٢/٧٤٤-٧٤٧.

- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ١٢/٢٢٠.

- يوسف (محمد)، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١/١٤٥.

وتنوع إنتاجه الأدبي ما بين الشعر والنثر؛ فأما في مجال الشعر فقد أصدر ثلاثة دواوين مستقلة، هي: (أجنحة بلا ريش) [١]، و(الطائر الغريب) [٢]، و(الصوت والصدى) [٣]. ومن أبرز المؤلفات التي عُنيت بدراسة شعره كتاب (شعر حسين سرحان: دراسة نقدية)، وفيه قصائد متناثرة لحسين سرحان، لم تلحق بدواوينه [٤].

وأما إنتاجه النثري فغزير متنوع، فله رسالة بعنوان (في الأدب والحرب) [٥]، وله مقالات كثيرة وعدة قصص، وقد جُمعت منها أربع وخمسون مقالة وقصة في كتاب (من مقالات حسين سرحان) [٦]، ثم صدر كتاب آخر بعنوان (آثار حسين سرحان النثرية: جمعًا وتصنيفًا ودارسة)، وهو يجمع نحو ثلاثمئة مقالة، وثلاث عشرة أقصوصة، وإحدى وثلاثين مقابلة صحفية [٧].

وأخيرًا جُمِع إنتاجه الشعري والنثري في كتاب (الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأديب الكبير الأستاذ حسين سرحان) [٨]، وهو يتضمن ديوانًا جديدًا اسمه (أوزان في الميزان) [٩]، كما يتضمن ثماني مقالات ليست في كتاب آثاره السابق [١٠].

---

(١) د. ط، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

(٢) النادي الأدبي، د. ط، الطائف، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٣) النادي الأدبي، د. ط، الطائف، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

(٤) المحسن (أحمد)، النادي الأدبي، د. ط، جدة، ١٤١١هـ.

(٥) النادي الأدبي، د. ط، الطائف، ١٣٩٨هـ.

(٦) ساعاتي (يحيى)، النادي الأدبي، د. ط، الرياض، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

(٧) سبقت الإشارة إليه ضمن مراجع ترجمة حياة حسين سرحان.

(٨) سبقت الإشارة إلى أنه سيكون مدونة البحث.

(٩) انظر: الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ١/٦٠٩-٦٢٩.

(١٠) انظر: نفسه، ١/١٥.

المفارقة في مقالات حسين سرحان

تتعدد تقسيمات المفارقة عند النقاد، ولكنها ترجع في الغالب إلى نوعين رئيسين، هما: المفارقة اللفظية، ومفارقة الموقف [١]. وتندرج تحت كل نوع منهما أنواع أخرى.

أولا: المفارقة اللفظية:

من تعريفات المفارقة اللفظية أنها "شكل من أشكال القول، يُساق فيها معنى ما، في حين يُقصد فيه معنى آخر، يخالف غالبًا المعنى السطحي الظاهر" [٢]. ونستدرك أن اختلاف الدلالتين السطحية والعميقة شرط من شروط المفارقة، وإذا لم تتحقق المخالفة انتفى وجود المفارقة، بل إن الشّعرية تتناسب طرديًّا مع عمق الفجوة بين هاتين الدلالتين المختلفتين [٣].

والعلاقة بين دلالتي المفارقة اللفظية قد تتعدى حدود المخالفة إلى التناقض التام[٤]، وعلى سبيل المثال قد يكون ظاهر الكلام مدحًا وباطنه ذمًّا، وهذا الانقلاب الدلالي يتعمده صانع المفارقة، ويغلب أن يوظفه للهجاء [٥]، وهو هجاء خفي، قد لا يدركه متلقي المفارقة، فيقع هو أيضًا ضحية لها.

---

(١) انظر: موسوعة المصطلح النقدي، ٤/٧١.

(٢) العبد (محمد)، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، د. ط، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٧١.

(٣) انظر: ناظم (حسن)، مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت-الدار البيضاء، ١٩٩٤م، ص١٢٧.

(٤) انظر: المفارقة والأدب، ص٢٦.

(٥) انظر: موسوعة المصطلح النقدي، ٤/٧٣.

والمفارقة اللفظية حاضرة في مقالات حسين سرحان، ولها هناك عدة أنواع، من أبرزها: مفارقة العنوان، ومفارقة اللفظ وضده، ومفارقة التشبيه، ومفارقة التناص، ومفارقة المدح بدل الذم.

١-مفارقة العنوان:

العنوان عتبة للدخول إلى النص، ويعد العنوان عنصرًا مهمًّا من عناصر النص الموازي، ولكنه قد يكون مربكًا أو معقدًا بسبب اختلاف قدرة المتلقين على تحليله أو تأويله [(١)]، وعدم قطعية دلالة العنوان يجعله من مظان حضور المفارقة، وضبابية العنوان التي تحدث بسبب المفارقة لا تحول دون أداء وظائفه، بل قد تعزز المفارقة بعض تلك الوظائف ولا سيما الوظيفة الإغرائية، وذلك بما تحدثه من تشويق وانتظار لدى المتلقي[(٢)]، وبما تقدمه له من السرور بعد أن يستطيع فك شيفرة هذه المفارقة [(٣)].

وينبغي عدم فصل العنوان عن النص عند دراسة مفارقة العنوان؛ لأن حضور المفارقة في العنوان قد يكون دليلا على حضورها في النص الأدبي نفسه؛ "إذ يبدو العنوان في كثير من الأحيان وهو يوحي بصورة مصغرة عن المفارقة اللفظية الكامنة في النص" [(٤)].

---

(١) انظر: بلعابد (عبد الحق)، عتبات: ج. جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٦٥.

(٢) من وظائف العنوان الأخرى: التعيين، والإيحاء، والوصف. انظر: نفسه، ص٨٦-٨٨.

(٣) انظر: بن صالح (نوال)، جماليات المفارقة في الشعر العربي المعاصر: دراسة نقدية في تجربة محمود درويش، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط١، عمَّان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٦م، ص٤٩.

(٤) شبانة (ناصر)، المفارقة في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٩١.

وقد تكون العلاقة بين العنوان والنص تكاملية، وذلك عندما يجعل الأديب العنوان لغزًا أو سؤالا إشكاليًّا، ويجعل النص محاولة لحله أو الإجابة عنه [١].

وتبرز المفارقة في عناوين مقالات حسين سرحان الذاتية، ولعل ذلك بسبب رغبته في جذب القراء إلى تلك المقالات التي يتحدث فيها عن نفسه. ولمفارقة العنوان هناك نمطان رئيسان، يتمثل الأول في عدم وضوح علاقة العنوان بالنص مع وجود دلالة عميقة بينهما، ويتمثل الآخر في عدم صحة دلالة العنوان السطحية مع صحة دلالته العميقة.

أما النمط الأول فيشعر المتلقي فيه بغموض صلة العنوان بالمقالة، فيبدو له للوهلة الأولى أن تلك الصلة مفقودة، ثم يكتشف متأخرًا حقيقة وجود صلة وثيقة بينهما، ويدخل في هذا النمط عنوان مقالة (العشبة الغريبة) [٢]، ويتبادر إلى الذهن عند تأمل ذلك العنوان أن المقالة مخصصة للحديث عن نوع معين من النباتات، ويعزز ذلك التصور أن المقالة بدأت بوصف ملامح تلك العشبة الغريبة، ومنها أنها عشبة طفيلية، وأنها مختلفة عن النباتات المحيطة بها. ولكن المقالة أشارت -بعد ذلك- إلى أن عقيدة من يعتنون بتلك العشبة تختلف عن عقيدتها، وهنا يدرك المتلقي وجود دلالة عميقة كامنة، ويتضح في الفقرة الأخيرة من المقالة أن المقصود دولة اليهود التي لم يصرح حسين سرحان باسمها تحقيرًا لها، ولكنه قال: "الدولة التي تعتدي على جاراتها، وتأخذ مساحات كبيرة من أراضيها، يزودونها بما تشاء من كل نوع، ويتبارون في هذا النفاق العالمي، ولا يستحون!

---

(١) انظر: سعدية (نعيمة)، شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد١، يونيو ٢٠٠٧م، ص ١٤٨.

(٢) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٣/ ٦٧٠-٦٧١.

إنها شجرة لا أوراقها ولا أزهارها من طبيعة هذه الأرض، وستنقلع في أول ريح تمرُّ بها"[١].

ومن النمط الأول أيضًا مقالة (سحابة صيف)[٢]، وعنوانها يتركب من كلمتين، ليس في الإسناد بينهما غرابة، فهذا التركيب معروف مألوف، ولكن ما يثير الغرابة والدهشة هو عدم ظهور علاقة بين العنوان ونص المقالة للوهلة الأولى، فالكاتب لم يشر مطلقًا إلى السحاب ولا إلى الصيف في مقالته، بل كان يصف حالة الحزن التي يعيش فيها وقت كتابة المقالة، وكانت بسببين، أما السبب الأول فهو تجاوزه الخمسين من عمره وشعوره بدنو الأجل، وقد سيطر عليه هذا الشعور كثيرًا كما تشهد بذلك كثير من مقالاته المتأخرة زمنيًّا، وأما السبب الآخر فهو أن وقت كتابتها كان بعد نكسة العرب سنة ١٩٦٧م، وقبل انتصارات سنة ١٩٧٣م، وقد دفعته حالة الحزن إلى البقاء في بيته. وتبقى بعد ذلك علاقة العنوان بنص المقالة، وهي علاقة يستشفها المتلقي بعد لملمة أجزاء المقالة، فيتكشف له أن سحابة الصيف ما هي إلا حسين سرحان نفسه، وقد شبه نفسه بها؛ لأنه منعزل وحيد مثلها، كما أنه يتوقع أن ينقضي أجله قريبًا كما تنقشع سحابة الصيف مسرعة في العادة، وهكذا عكست هذه المفارقة ما يشعره به من الوحدة والحزن والألم.

ويتمثل النمط الآخر في بعض مقالات حسين سرحان التي حملت عناوين، تستوقف المتلقي بسبب غرابة بنيتها الداخلية، ومنها مقالة (أنتَ لستَ على قيد الحياة)[٣]، فالدلالة السطحية في العنوان يرفضها المتلقي، وقد يشك في سلامة العنوان؛

---

(١) نفسه، ٣/٦٧١.

(٢) نفسه، ٢/٢٢٩-٢٣١.

(٣) نفسه، ٢/١٥٠-١٥٢.

إذ كيف يكون المقصود بالخطاب ميتًا ويمكن أن يُخاطب في الوقت نفسه؟! وهذه الإشكالية التي يحملها العنوان تجيب عنها المقالة، فهي تتضمن أن المعاملات الإدارية وقت كتابة المقالة كانت مرهقة، وذلك قبل التطور التقني الذي نعيشه حاليا، فقد كان الأمر يتطلب أن يثبت الإنسان في أول كل سنة مالية أنه على قيد الحياة؛ لكي يتلقى المعونة المالية السنوية، ولا يكفي لذلك مجرد حضوره أمام المسؤول، وهذا هو مقصود الكاتب في العنوان، وهنا تكون المفارقة قد قامت بمباغتة المتلقي وحثه على المشاركة بقراءة النص.

ومن النمط السابق أيضًا مقالة (بذور فلسفية: النقطة أوسع من المحيط)، فمضمون هذا العنوان يثير الغرابة والدهشة، وقد أقر حسين سرحان نفسه بذلك في مقدمة المقالة، فقد ذكر هناك أن النقطة جزء من المحيط، فكيف تكون أوسع منه؟ [(١)] ويتضح بعد قراءة المقالة أن المعنى الكامن للعنوان هو تفضيل الإيجاز في الكلام على الإسهاب، والسعة في العنوان بمعنى القدرة على التأثير، وتكشف هذه المفارقة شدة تضايقه من الثرثرة والثرثارين.

٢-مفارقة التضاد الدلالي:

التضاد من الملامح البارزة للمفارقة، ومجرد حضور اللفظين المتضادين مألوف في الكلام، ولكن المفارقة تكمن في اجتماعهما معًا في الوقت نفسه، وبخاصة عندما يوصف بهما معًا موصوف واحد، ويمكن تفسير ذلك بانتقال أحد اللفظين من حقله الدلالي [(٢)]، وهذا يحل إشكال اجتماع النقيضين.

---

(١) انظر: نفسه، ٣/٥٦٥.

(٢) انظر: المفارقة القرآنية، ص٧٢.

ويغلب أن تعمل هذه المفارقة على تعميق بنية الصراع في النص الأدبي، وتزيد فيه صفات الدهشة والتعجب والحيرة [١]، وذلك مما يعزز جماليات النص، فتتشكل فجوة أو مسافة تفصله عن الكلام المألوف، وهذا مما يحفز المتلقي على القراءة.

وتبرز مفارقة التضاد الدلالي في مقالات حسين سرحان الذاتية التي تأخذ طابعًا تأمليًّا فلسفيًّا، ويغلب أن تحضر في مقدمات تلك المقالات لجذب المتلقي، ومن أكثر المتضادات التي يجمعها تلك الألفاظ التي تنتمي إلى حقلي اللذة والألم، ومثال ذلك قوله في مقدمة مقالة (أهل الجوع): "للجوع حرقة نفسية لذيذة في كل نفس يسمها الله به، رضا عنها أو رحمة بها أو إشفاقا عليها.

والجوع يلوع كل نفس، حتى نفوس الأغنياء والعظماء عندما يضربهم السفر بوعثائه، أو يتأخر عنهم الطعام لأسباب اضطرارية، فأيُّ إنسان لم يذق في حياته -ولو مرة واحدة- تلك الحرقةَ النفسيةَ اللذيذة" [٢].

تصف المقالة أنواعًا متنوعة من الجوع كجوع النفس والذهن والقلب، وبدأت بالجوع الأشهر، وهو جوع البطن، ولا شك أنه يرتبط بالألم والتعب، وقد ربطه حسين سرحان بالحرقة، ولكن المفارقة تتمثل في اجتماع المتضادين دلاليا، وقد ظهر بعد ذلك في موضعين، وهذا يؤكد أنه تضاد مقصود، فقد تكرر وصف تلك الحرقة باللذيذة، وبين الحرقة واللذة تضاد وتناقض، فالأولى تكرهها النفوس، وتنفر منها، بينما تحب الأخرى، وتنجذب إليها. وهذا يدفع المتلقي إلى التفكير في سرّ اجتماعهما، وتنفتح هنا الدلالات المحتملة، ومنها رغبة حسين سرحان في الاختصار، وأنه أراد باللذة ما يحدثه

---

(١) تقترن هذه الصفات بطبيعة المفارقة. انظر: يوسف (حسني)، المفارقة في شعر عَدِي بن زيد العِبادي: دراسة نظرية تطبيقية، الدار الثقافية للنشر، ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٣.

(٢) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٣٥/٢.

الجوع من تهذيب في النفس، يجعلها تشعر بآلام الفقراء ومعاناتهم، فتتعاطف معهم، ولا تتكبر عليهم.

ويقرن حسين سرحان باللذة ألما آخر، ولكنه ألم معنوي هذه المرة، وأعني هنا ألم الحزن، ويظهر الاقتران بينهما في مقدمة مقالة (مناوشات ومناقشات -٤-)، وذلك حيث يقول: "أنا أميل بطبعي إلى المعاني الحزينة، لا أدري لماذا؟ ... وللحزن لذَّةٌ لستُ أدري كيف أصفها؟ ولكن المحزون يأنَسُ بها كما يأنس الجذلانُ بجذله" (١).

يفاجئنا حسين سرحان في النص السابق عندما ذكر ميله إلى الحزن، والميل يكون إلى المحبب إلى النفس، والحزن ليس محببًا إليها، وليس مما تميل إليه، ثم يصرح باقتران اللذة والحزن، ومن الصعب هذه المرة توضيح طبيعة اللذة التي تكمن في الحزن، وحسين سرحان نفسه عاجز عن توضيح ذلك كما جاء في النص السابق، ولعل ذلك يرتبط بكون المفارقة في أصلها تقوم على الغموض والمراوغة، فالأديب في المفارقة لا يصرح بالمعنى، وربما ذكره بشكل جزئي.

وثمة أضداد أخرى تجتمع في مقالاته، ومنها -على سبيل المثال- ما نجده في مقدمة مقالة (أحلام في النهار)، وهي تبدأ بقوله: "لقد أصبحتُ أنام بلا نوم، وأصحو بلا صحو .. وذلك لأني عدت أتماوج بين حالتين، ... أنا شاذ كل الشذوذ في كل المقاييس القديمة والمبتدعة" (٢).

تبدأ المفارقات في الظهور منذ العنوان، فربط الأحلام بالنهار يخالف ربطها بزمنها المألوف، وهذا يقود إلى معنى عميق شائع عند كثير من الناس، وإن لم يكن له أصل يسنده، ويتمثل في غرابة أحلام النهار أو خلوها من الدلالة، وقد انعكس ذلك المعنى

---

(١) نفسه، ٥١٣/٣.

(٢) نفسه، ٧٩٩/٣.

العميق على المقالة، فقد وصف حسين سرحان حالته مع النوم والاستيقاظ بوصف غريب، ينقض آخره أوله في ظاهر الكلام، فقوله (بلا نوم) ينقض قوله (أنام)، وهكذا في (بلا صحو) و(أصحو)، فالمتلقي يشعر بالتناقض الظاهري، بل صرح حسين سرحان نفسه بغرابة تلك الحالة وشذوذها، ولكن تفسير تلك الحالة يظهر بعد أن يتابع المتلقي القراءة، ويعرف أن تلك المقالة قد كتبها بعد أن امتد به العمر، ومن المعروف أن نوم الشيخ الكبير يصبح متقطعًا، وأنه لا يستغرق فيه طويلاً، وكذلك الحال في يقظته، وهذا يفسر أنه بدأ مقالته بالفعل (أصبح) الذي يفيد التحول، وهذا يعني أنه لم يكن كذلك في شبابه.

وقد يتيسر للمتلقي الوصول مباشرة إلى الدلالة العميقة الكامنة في مفارقة التضاد الدلالي، وعلى سبيل المثال فقد جاء في مقالة (الأسلوب المُرّ..!): "وما قرأتُ ديباجةً أشدَّ مرارةً من ديباجة الدكتور طه حسين في وصف الحالات النفسية والاجتماعية، ولكنكَ لا تستطيع أن تصف ما في تلك المرارة من طلاوة وحلاوة" [(١)].

جاء وصف كتابات الدكتور طه حسين بالمرارة، ثم جاء وصفها بالحلاوة، والمعنى السطحي يوحي بالتناقض، ولكن المعنى العميق يكشف سر اجتماع الصفتين المتضادتين، فهما يرجعان إلى موصوفين، وليس إلى موصوف واحد، فالمرارة صفة لمضامين كتاباته، والحلاوة صفة لأساليبها.

وقد يفسر حسين سرحان نفسه للمتلقي سر اجتماع المتضادين في الدلالة، فقد بدأت مقالة (تقاسيم على القلم..!) بقوله: "المعروف أن التقاسيم متعبة في الموسيقى،

---

(١) نفسه، ٣٠٢/٢.

وأن هناك أنغامًا صامتة مفردها تقسيم، وجمعها تقاسيم، تنفرد بها آلة موسيقية كالعود أو الكمان أو القانون، وتعزف هذه التقاسيم بلا مصاحبة مغنٍ" [١].

من المعلوم أن الأنغام أصوات موسيقية، ولكنها وصفت بأنها صامتة، وهذا تناقض وتضاد، ولكن التفسير جاء بعد ذلك، فقد ذكر أن الأنغام الصامتة هي التي يصمت فيها المغني، وتعزف فيها الآلات الموسيقية منفردة.

٣-مفارقة التشبيه:

التشبيه عند البلاغيين: "الدلالة على مشاركةِ أمرٍ لآخرَ في معنى" [٢]. وقد حظي منذ القدم بعناية البلاغيين والنقاد، فتحدثوا عن شروط جودته، واختلفوا في شرط تقارب طرفي التشبيه، كما ذهب بعضهم إلى تفضيل تباعدهما، فهذا يجعل التشبيه ينزاح دلاليًّا عن المألوف، ويدعو المتلقي إلى المشاركة في النص بالبحث عن الجامع بين الطرفين المتباعدين، ومما ذكروه في ذلك أنك "إذا استقريتَ التشبيهات، وجدتَ التباعدَ بين الشيئين كلَّما كان أشدَّ؛ كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوسُ لها أطرب، وكان مكانُها إلى أن تُحِدث الأريحيّة أقرب" [٣].

وتكمن مفارقة التشبيه في جمع الأطراف المتنافرة أو المتباعدة لتكوين علاقات غير متوقعة، تنتج عنها دلالات عميقة، وبهذا يستطيع التشبيه تجسيد مفارقة، تعزز هيمنة الوظيفة الشعرية في النص عن طريق اللفظ الموجز والخيال المجنح، وتدهش المتلقي بدلالات متراكمة.

---

(١) نفسه، ٧٨٦/٣.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، ص١٦٤.

(٣) الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، ط١، جدة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص١٣٠.

وتبرز مفارقة التشبيه في مقالات حسين سرحان الاجتماعية التي يعالج فيها بعض المشكلات معالجة ساخرة، ومن أمثلة مفارقة التشبيه الذي تتنافر أطرافه ما يظهر في قوله في مقالة (قيمة الإنسان): "إنَّ سِعْلاة الفاقة، وَغُول الفقر، ووحش العوز، وهولة الجوع، لترتع مِنَّا في أخصب المراتع وأفضلها، وإنَّ رائحةَ الجلود المحترقة لتصافح أنوفنا وتفغمها كأنها الندُّ والـمَنْدَل الرطب!"[(١)].

تدور المقالة السابقة حول معاناة الفقراء الذين يواجهون صعوبات الحياة، وجاء تصوير ما يصيب جلودهم نتيجة الأعمال الشاقة بالاحتراق، وشُبِّهت روائح جلودهم المحترقة بروائح عطور الندِّ والـمَنْدَل، وهنا يشعر المتلقي بصدمة التنافر بين طرفي التشبيه؛ لأنه لا يجد جامعًا مباشرًا بينهما، فروائح تلك الجلود كريهة، وهي تقترن بالبؤس والشقاء، وروائح تلك العطور زكية، وهي تقترن بالرغد والنعيم، ثم يتضح له أن ذلك التنافر مقصود للدلالة على معنى كامن، يتمثل في تبلُّد مشاعرنا تجاه الفقراء، فقد كنا نشعر بمعاناتهم، ثم صرنا -بسبب التبلُّد- لا نشعر بها، وهذه المفارقة مؤثرة؛ لأن الألم والكوميديا يجتمعان فيها مع ما بينهما من تناقض [(٢)].

ومن التشبيهات المتنافرة الأطراف هذا التشبيه الذي يظهر في قول الكاتب في مقالة (الموت والتجارب -٢-): "وقد يلعج الموت الإنسان في شبابه، ثم لا يموت إلا هرمًا، وربما حدث العكس، وليس في ذلك كله ما يفضي بنا إلى العجب أو التعجب، فإنَّ الموت مثل الرزق، يؤتاه من يؤتاه على غفلة، ويمنعه من يمنعه" [(٣)].

---

(١) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٢/٨٩-٩٠.

(٢) يري ميويك أن المفارقة تكون أكثر تأثيرًا إذا اجتمع فيها العنصر الكوميدي والعنصر المؤلم. انظر: موسوعة المصطلح النقدي، ٤/٥٢.

(٣) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٢/٤٦٦.

تدور المقالة السابقة حول موضوع الموت، وجاء في النص السابق تشبيه الموت بالرزق، ولا شك أنَّ بينهما تنافرًا كبيرًا، فالموت -في الغالب-تكرهه النفوس، وتخاف منه، وتتمنى أن يتأخر، وتتمثل المفارقة في تشبيهه بالرزق الذي تحبه النفوس، وتطمع فيه، وتتمنى أن يتعجل، وهذا التنافر بين طرفي التشبيه يحير المتلقي، ثم تزول تلك الحيرة عندما يجد في النص جامعًا مشتركًا بينهما، وهو أنَّ كليهما مقدَّر على الإنسان، وأن الأخذ بالأسباب لا ينافي ذلك، بل هو من القَدَر أيضًا، والدلالة العميقة هنا ضعف الإنسان، فهو لا يقدر على جلب خير أو دفع شرٍّ إلا ما شاء الله.

وقد يكون طرفا التشبيه متباعدين في مقالات حسين سرحان، ولا نكاد نستطيع معرفة الجامع بينهما إلا عن طريق ما يُصَرَّح به هناك، وعلى سبيل المثال تبدأ مقالة (بواكير أفكار لم تنضج) بقوله: "إنَّ الأفكار كالملابس ..."[(١)]. وهنا يرتبك المتلقي إزاء هذه الصورة التي تبدو مفككة غير مترابطة، فما علاقة الملابس بالأفكار؟! وقد لا يجد أمامه سوى التخمين لإقامة علاقة ظنية، ثم يأتي الجواب في المقدمة نفسها، وذلك حيث يقول حسين سرحان: "والملابس نفسها تتبع الناس في الأزمنة والأمكنة، وقد تسيطر الملابس على الناس، وقد يحدث العكس!"[(٢)].

ظهرت العلاقة بين الأفكار والملابس في المقدمة السابقة، وتتابع ظهورها في بقية المقالة، فحسين سرحان يرى أن عناية أبناء الجيل الناشئ بالثقافة يختلف عن عناية أبناء جيله بها، ولكي يقنعنا بتلك النتيجة انطلق من حجة تشابه الأفكار والملابس، فأفكار كل جيل تختلف عن أفكار الأجيال الأخرى، وذلك كما أن ملابس كل جيل تختلف عن ملابس الأجيال الأخرى.

---

(١) نفسه، ٣٢٦/٢.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها.

ومن مفارقة التشبيه أن يوظف حسين سرحان التشبيه للسخرية من نفسه والتقليل من مكانته الأدبية، وهذا يخالف ما اعتدنا عليه من ثناء كثير من الأدباء على أنفسهم وأدبهم، أو عدم الإفصاح عن عيوبهم على الأقل، ومثال ذلك قوله في مقالة (اعتيادات في غير أيامها): "ما هي قصة حياتي؟! كلبٌ لهثَ أكثر من خمس وخمسين سنة، ثم بصق الترابَ بلسانٍ غير أحوذي!"[(١)].

إن السؤال المطروح يثير القراء، وكأنه يغريهم بمتابعة القراءة للتعرف على حياة حسين سرحان، وبخاصة أنه ذو مكانة أدبية مرموقة، ولكن الجواب كان مفاجئًا، فهو يرى أنه لم يقدم شيئًا في مجال الأدب، وأنه ما زال متلعثمًا في هذا المجال، مع أنه بلغ خمسة وخمسين عامًا، وزاد على ذلك بأن شبَّه نفسَه بالكلب، ومن هنا جاءت المفارقة، فالإنسان -في العادة- لا يقبل أن يُشبه بذلك الحيوان، وذلك حتى لو كان جامع التشبيه هو عدم القدرة على الإفصاح والإبانة، ويجتمع في هذه المفارقة الألم والسخرية الكوميدية، وكأنها تتضمن دلالة عميقة على عدم رغبته في الحياة ومباهجها.

٤-مفارقة التناص:

يستفيد الأديب من نصوص سابقة في إنتاج نصه، ومن هنا ظهرت قديمًا بعض المصطلحات التي تشير إلى تلك الاستفادة، مثل: الاقتباس [(٢)]، والتضمين [(٣)]، وغيرهما. وبرز في العصر الحديث مصطلح التناص (Intertextuality)، وهو "ترحال

---

(١) نفسه، ٢/٢٢٧.

(٢) الاقتباس: "أن يضمَّن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه". الإيضاح، ص٣١٢.

(٣) التضمين: "أن يُضَمَّن الشعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء". نفسه، ص٣١٦.

للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى" [١].

وتكمن مفارقة التناص في كونها تتضمن عدولا إلى نص آخر؛ إذ يجتمع فيها النص الحالي ونص سابق، ويزداد تأثير المفارقة عندما يختلف سياقا النصين، ويظهر دور المتلقي في البحث عن العلاقة بينهما، فهو "يمارس دورًا مهمًا في توجيه دفة المفارقة نحو التصعيد أو التهدئة" [٢].

وتُوظف مفارقة التناص لتأكيد المضامين، وفتح الدلالات، وتعزيز جمالية النص، وإبهار المتلقي وإدهاشه بنصوص متداخلة، وجعله يشارك في البحث عن العلاقات التي تربط بينها.

والتناص منتشر في مقالات حسين سرحان، وهو لا يرتبط بموضوعات معينة [٣]، ويظهر عنده التناص مع القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي قديمه وحديثه وأمثال العرب وغيرها، وهذا يدل على تنوع مصادره الثقافية.

وتبرز في مقالات حسين سرحان مفارقات التناص مع الشعر في الغالب؛ لأنه يتناص مع بعض الأبيات في سياقات تناقض سياقاتها الأصلية، ومثال ذلك ما يظهر في مقالة (كَدمات وسَحَجات وبلسم)، وفيها يقول واصفًا حاله عندما وقع عن الدَّرَج،

---

(١) كريسطيفا (جوليا)، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، ط٢، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ص٢١.

(٢) المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٢١٥.

(٣) يذكر رولان بارت أن التناص قدر كل نص أدبي مهما جنسه، وهذا يوضح أن التناص قد لا يكون مقصودًا في بعض الحالات. ينظر: مجموعة من المؤلفين، آفاق التناصية: المفهوم والمنظور، ترجمة: محمد خير البقاعي، جداول للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠١٣م، ص٥٢.

وانقلب رأسًا على عقب: "ولم أشعر إلا وأنا وقد طويتُ أكثرَ من عشر دَرَج في أقل من ثانية، ثم أبصرتُ رأسي في موضع رِجلي، ورأيت امرأ القيس يهزج فوقي قائلا: "كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّه السيلُ مِن عَلِ" (١).

تسبب وقوع حسين سرحان في إصابته، ونجده يتمثل في النص السابق بنص لامرئ القيس في وصف سرعة فرسه، ويشكل التناص هنا مفاجأة للقارئ؛ لأن سياقي النصين متضادان، فنص امرئ القيس يومئ إلى قوته ومرونته بسبب قدرته على امتطاء فرسه الجموح، ونص حسين سرحان يومئ إلى ضعفه وعجزه عن التحكم بحركته، وهذا التناقض يولد مفارقة التناص التي تتضمن سخرية من النفس، تهدف إلى الإضحاك.

ومن أمثلة مفارقة التناص ما يظهر في نقده لديوان (الأمس الضائع) لحسن القرشي، وذلك في مقالة حملت عنوان ذلك الديوان، ومنها: "ولكن هدَّاب الألفاظ غير هدَّاب "الدِّمَقْس المُفَتَّل" من شحم مطيَّة امرئ القيس، وحظُّ العذارى أدسم وأنفع ولا ريب من حظنا" (٢).

أشار حسين سرحان إلى امتداد عنوان الديوان وإيحاءاته، وعبَّر عن ذلك الامتداد بهُدَّاب الألفاظ، ووضح أنه مختلف عن هُدَّاب "الدِّمَقْس المُفَتَّل"، وهو هنا يتناص مع قول امرئ القيس في وصف مطيَّته:

يَظَلُّ العَذارى يَرتَمينَ بِلَحْمِها وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المفَتَّلِ"(٣).

---

(١) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ١٨٦/٢. والتناص وقع مع عجز بيت لامرئ القيس، وصدره: "مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبلٍ مُدْبرٍ معًا". ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٥، القاهرة، د. ت، ص١٩.

(٢) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٨٤٠/٣-٨٤١.

(٣) ديوان امرئ القيس، ص١١.

ولم يكن التناص لأجل الاشتراك في لفظة (الهُدَّاب) فحسب؛ إذ تلوح مفارقة عميقة في هذا التناص، فحسين سرحان يومئ إلى جمالية ألفاظ الديوان باستدعاء بيت في معلقة من أشهر معلقات العرب، ولكنه في المقابل يشير إلى انصراف الناس عن الأدب مع ما فيه من لذة معنوية، وإقبالهم على الملذات المادية الحسية.

ومن مفارقة التناص أيضًا ما يظهر في مقالة (برمَّانا)، وهي تدور حول تضايقه من سائقي سيارات الأجرة عامة، ومن أحد السائقين في مدينة (برمَّانا) خاصة، وقد ختمها حسين سرحان بقوله: "ومضيت إلى صديقي الداعي في برمَّانا وأنا أردد:

"كُتِبَ القتلُ والقِتالُ علينا وعلى (السائقين) ..."[(١)].

يظهر في النص السابق شطر بيت في الغزل لعمر بن أبي ربيعة، وفيه يعلن ضعفه واستسلامه أمام النساء، وكأن هذا التناص يومئ إلى ضعف حسين سرحان واستسلامه أمام سائقي سيارات الأجرة، وتكمن المفارقة في كون استسلام عمر بين أبي ربيعة أمام النساء محببًا إليه، وأما استسلام حسين سرحان فغير محبب إليه.

٥-مفارقة المدح بدل الذم:

أشار ميويك إلى هذه مفارقة المدح بدل الذم، وعدَّها من أنواع المفارقة اللفظية[(٢)]، وهي تقوم على التضاد بين ما يقال وما كان يتوقع أن يقال، فهي تضاد بين نص ظاهر ونص مضمر، وفيها يوظف صانع المفارقة أسلوبًا هجائيًّا ساخرًا مغلفًا بألفاظ الثناء مع التظاهر بالبراءةِ وعدمِ إرادة الإساءة.

---

(١) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٣٦٥/٢. وقد حصل تغيير مقصود في الشطر الثاني، فقد ورد: "وعلى المحصنات جَرُّ الذيول". ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وعبدالعزيز شرف، المكتبة الأزهرية، د. ط، القاهرة، د. ت، ص٢٢٩.

(٢) انظر: موسوعة المصطلح النقدي، ١٩٥/٤.

ويظهر لي أن هذه المفارقة مختلفة عما نجده في اللونين البلاغيين المعروفين بتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح [١]، ففي اللون الواحد منهما لا تجتمع صفتا المدح والذم، ولكن يحضر أسلوب الاستثناء لإيهام المتلقي بحضور صفة غير متوقعة دون أن تحضر، وهنا يدخل اللونان في باب المفارقة بسبب ما فيهما من المراوغة، ولكن حضورهما يكاد يكون معدومًا في مقالات حسين سرحان، بينما تنتشر فيها مفارقة المدح بدل الذم.

ويبرز هذا النوع من المفارقة عند حسين سرحان في عدة مواضع، ومن أبرزها مقالاته الاجتماعية، وبخاصة عند انتقاد الآخرين عن طريق أسلوب النقد الساخر؛ ليتجنب ألفاظ الذم المباشرة التي قد توقع في المسؤولية، ومثال ذلك قوله في مقالة (دقائق): " لم يكتفِ أخونا المبجَّل بأن يضعها في ذيل العمود، وقد كانت دائمًا في القِمَّة، لم يكتف بذلك، ولكنه فعل ما هو أنكى وأغرب، فقد خوَّلت له نفسه الكريمة ومزاجه المعتدل أن يحذف النهاية من المقال، وهي نهاية يدور المقال كلُّه عليها، ويلفُّ حولها، إنها هي "النكتة"، لو كان صاحبنا المِفْضال يفهم النكتة" [٢].

يشكو حسين سرحان ما فعله أحد المحررين بالمقالة التي أرسلها إلى صحيفة البلاد، فقد جعلها المحرر في أسفل العمود، وكانت توضع في أعلاه، كما أنه حذف نهايتها. ويظهر في النص السابق شعور التضايق عند حسين سرحان بسبب فعل المحرر، ولكن المفارقة ترجع إلى الثناء الظاهري على ذلك المحرر، فقد جاء وصفه بالمبجَّل والمِفْضال، ووُصِفت نفسُه بالكرم ومزاجُه بالاعتدال، وهنا يشعر المتلقي بالتعجب والدهشة، ثم يدرك أن المقصود عكس ذلك، فحسين سرحان كان يبطن سخرية شديدة ونقدًا لاذعًا؛

---

(١) انظر: الإيضاح، ص٢٨٠-٢٨٢.

(٢) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٣/ ٥٩٠.

لأنه لا يريد التصريح بالمقصود، وبخاصة أن الردّ جاء في الصحيفة نفسها التي يعمل فيها ذلك المحرر، كما أنها صحيفة يومية رسمية، تطَّلع عليها شريحة كبرى من القُرَّاء.

وظهرت مفارقة المدح بدل الذم أيضًا عندما انتقد حسين سرحان أمانة مكة المكرمة في مطلع الثمانينيات الهجرية من القرن الماضي، وذلك في قوله في مقالة (دقائق): "إلى هنا والمنظر رَقْراق حالِم إذا أغمضتَ عليه عينَك، لا تود أن تفتحها من فرط اللذاذة والإيناس. فأمَّا إذا صَدحتِ المعيزُ بالثغاء، وترنمتِ الأتانُ بالنهيق، واشرأبتِ ابنتُها بأذنيها، ثمَّ رَجَّعتِ الصَّدى، فأحسنتِ الترجيعَ، ..." [1].

انتقد حسين سرحان في بداية المقالة ترك المواشي سائبة في شوارع مكة المكرمة، ووصف الشارع الذي بجوار داره، فذكر أن فيه أتانًا وابنتها وقطيعًا من الماعز، تُعطِّل سير المشاة والسيارات، وتُزعج السكانَ بأصواتها، ولكنه أتى في الجزء الأخير من المقالة بألفاظ، تدل على سعادته بما سبق، فهو يذكر لذَّتَه وأُنْسَه بمنظرها في الشوارع، ويصف أصواتها بالتَّرَنُّم والتَّرْجيع الحسن، ولم يصف أصواتها بالنهيق المنكر مثلا، وهذا الأسلوب يدل في الظاهر على التناقض بين شكواه من الفوضى في البداية وإعجابه بها في النهاية، ولكنه في الواقع يدل على حضور مفارقة المدح بدل الذم، فما ذكره من ألفاظ هو نقيض ما أضمره.

وتظهر هذه المفارقة في المقالات التي ينتقد فيها نفسَه أو ما يتعلق به، ويعْرِض فيها بعضَ أخطائه، وغرض المفارقة هنا إضفاء أجواء من الطُّرْفة التي تخفف وقع تلك الأخطاء، ففي مقالة (النَّشْر والشِّعر وأشياء أخرى) يقول: "فهيأتُ ما كان عندي من

---

(١) نفسه، ٥٧٨/٣.

الشِّعر في أربعة دواوين "أو أكواخ"، وسميتُها "ليحفظها الله": الأغَارِيد، وحَادي العِيس، وهُدهُد سليمان، والزَّبَد" [١].

يدعو حسين سرحان ربَّه أن يحفظ دواوينه الشعرية التي كتبها ونشرها في شبابه، وقد يبدو الكلام على ظاهره، وأنه راضٍ عنها، ولا تظهر المفارقة هنا، ولكن الشك يتسلل إلى المتلقي عندما وصف حسين سرحان دواوينه بالأكواخ، وهذا الوصف قد يتضمن شيئًا من السخرية، ولكن المفارقة تتأكد لنا عندما يأتي بما يتعارض مع دعائه أن يحفظها الله، فهو يصرح بأنه أحرق تلك الدواوين لضعف مستواها، وعن ذلك يقول: "فاقتنعتُ على فترات أنَّ كلَّ ذلك باطلُ الأباطيل وقبْض الريح كما يقال، وأحرقتُ شِعري وآثاري الأولى، وأرحتُ الناسَ ونفسي من شرِّها وركاكتها، فإنَّ الناسَ لا يزدادون على ما بهم، فلعلَّ اللهَ يلطف بعباده" [٢]. ولعل في النص السابق تعريضًا ببعض الشعراء المعاصرين الذين يصدرون دواوين كثيرة دون أن تكون لها إضافة على مستوى التجربة الشعرية.

وقد تأتي هذه المفارقة لأغراض أخرى غير النقد، فهي تأتي عند التأملات العميقة، وبخاصة في الحياة والموت، ويبرز ذلك في مقالة (الموت) التي يتحدث فيها عن الاغترار بالحياة ونسيان الموت، ويصف فيها حال الإنسان في قبره، ومنها قوله: "وماذا يأخذ الإنسان معه إلى عالمه الآخر؟ يا له من مسكين، أذرع محدودة من القماش، كأنه يتستر بها عن الحجارة والتراب، وسيجد أمامه وفودًا باهرةً من الدُّود، تستقبله أروعَ استقبال" [٣].

---

(١) نفسه، ٢/٢٨٢.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) نفسه، ٢/٤٤٢.

نعلم أن الديدان تحلل جثة الإنسان بعد موته، وهذا المنظر مما تكرهه النفوس، ولكن المفارقة تتمثل في أن وصف حسين سرحان أخذ اتجاهًا مضادًّا، فهو يصف الديدان بالوفود الحسنة المنظر التي تقوم بتقديم الضيافة للميت واستقباله استقبالا رائعًا، وهكذا يجد المتلقي نفسه بين صورة واقعية قبيحة وأخرى متخيلة جميلة، وكأن المقالة تريد الابتعاد عن الوعظ المباشر، وأن تسلك بدلا منه طريق السخرية بمن يتناسى مصيره المحتوم.

ثانيًا: مفارقة الموقف:

تأخر تبلور مفهوم مفارقة الموقف، ولهذا فإن مفهومها أقل استقرارًا من مفهوم المفارقة اللفظية، ولكن يمكن القول إن مفارقة الموقف تخرج عن نطاق علاقات الألفاظ في الجملة، فتستوعب المفارقة هنا نصًّا يجسد علاقة الذات أو الموضوع بالبيئة أو بالآخرين في مكان وزمان محددين [١]. وتحصل مفارقة الموقف بسبب انقلاب يحدث مع مرور الوقت، يظهر في حالة أو حدث يُرى في إطار المفارقة، وتظهر فيها الضحية والمراقب، ويتوارى صانع المفارقة، ولهذا توصف هذه المفارقة بأنها غير مقصودة [٢]، وأنها تميل إلى الموضوعية، وتبتعد عن الذاتية، وهذا يقوي بنيتها الدرامية.

ومن أبرز أنواع مفارقة الموقف التي ظهرت في مقالات حسين سرحان: مفارقة الأحداث، والمفارقة الدرامية، ومقابلة التقابل، ومفارقة السخرية، ومفارقة الاستحقاق.

---

(١) انظر: عبد المطلب (محمد)، كتاب الشعر، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٧٠.

(٢) انظر: موسوعة المصطلح النقدي، ٤/٤٣، ٧١، ١٤٧.

١-مفارقة الأحداث:

ترتبط مفارقة الأحداث بالسرد، فهي عنصر من عناصره، وتتحقق تلك المفارقة عندما تتطور الأحداث تطورًا غير منتظر، فتنقلب أوضاع الضحية، وترتبك خططها وتوقعاتها، فهي تتخذ خطوات لاجتناب شر متوقع أو لتحقيق خير منتظر، لكن تلك الخطوات لا تقودها باتجاه هدفها المقصود، بل تكون سببًا في سقوطها وخسارتها [١]، ويساير فيها جهل الضحية بمصيرها جهل عند الجمهور أو القراء [٢].

وتكمن المفارقة هنا في التضاد بين توقعات الشخصية أو خططها والنتائج التي تحدث لها لاحقًا، وحضور هذه المفارقة يحقق الإدهاش في العمل الأدبي، فهي تكسر أفق توقع المتلقي بما يحدث فيها من نتائج غير متوقعة [٣].

ومفارقة الأحداث تظهر في بعض مقالات حسين سرحان القصصية [٤]، ويغلب أن تكون تلك الأحداث مرتبطة به، وذلك عندما يسرد مواقف من حياته، ويغلب أن يكون هو ضحية المفارقة.

ومن أمثلة اجتماع مفارقتين من مفارقات الأحداث ما نجده في مقالة (نوبة قلبية)، وهما تظهران في قوله يصف ما فعله عند بداية تلك النوبة: "وتناولتُ لحافًا من الصوف، كان قريبًا مني، وتجللتُ به، وازددتُ بردًا، فكأنما كنتُ أزداد تكشُّفًا وعُريًّا، وصحتُ بخادمٍ، كان حولي، فأسعفني بسجادتين ثقيلتين، وألقاهما علي، وحينئذ شعرتُ كأني

---

(١) انظر: نفسه، ٤/٩٤، ٢١٢.

(٢) انظر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٦٨.

(٣) انظر: الخطيب (أحمد)، المفارقة في المجموعة القصصية (البحث عن زيزياء) لجمال أبي حمدان، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، غزة، مج ٢٧، ع١، يناير ٢٠١٩م، ص١٠٤.

(٤) له أربع وعشرون مقالة قصصية. انظر: الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٢/٣٤٣-٤٢١.

في طبقات الجو العليا حيث ينعدم عنصر الأوكسجين بتاتًا، ويشتدُّ الضغط على جهاز التنفس، وعجبتُ كيف يمكن لرئتي أن تتنفس" [١].

ذهب حسين سرحان إلى النوم في ليلة من ليالي الصيف، وبدأ يشعر وهو على فراشه بآلام مع برودة في جسمه، فقرر أن يتدثر بلحاف من الصوف، وكان هدفه أن يكتسب بعض الدفء، والمفارقة الأولى أنه لم يشعر بالدفء بعد أن تدثر بذلك اللحاف، بل شعر بأنه ازداد بردًا، فنادى خادمه، وطلب منه أن يغطيه بسجادتين ثقيلتين رغبة في أن تتحسن حالته، وهنا ظهرت المفارقة الأخرى، فقد حصل نقيض المقصود مرة أخرى، وراح حسين سرحان ضحية ذلك التصرف، وازدادت حالته سوءًا، فقد شعر بصعوبة في التنفس، تشبه الاختناق عند الارتفاع في الفضاء.

وليس ببعيد مما سبق ما نجده في مقالة (أدوية تمرض وتفقر) التي يبوح عنوانها بما فيها من مفارقة الأحداث، ويتجلى ذلك في قول حسين سرحان: "اختارني الله لعدة أمراض عجيبة، لا أعالجها إلا وازددت ارتكاسًا فيها، ... فإني ما تداويت بمرض إلا انقلبت بمرض أعضل منه" [٢].

تناول حسين سرحان في المقالة السابقة مشكلة ارتفاع أسعار الأدوية الحديثة عندما كان الفقر شائعًا قبل تحسن الأوضاع الاقتصادية، وأشار إلى مشكلة أخرى تتعلق به، وهي أن حالته الصحية تزداد سوءًا عندما يتناول تلك الأدوية، وهنا تكمن المفارقة؛ إذ يحصل له خلاف مقصوده، وتكاد تلك الأدوية تهلكه بدلا من أن تكون سببًا في شفائه.

ومن أمثلة مفارقة الأحداث أيضًا ما نجده في مقالة (تجربة مُرَّة)، وفيها يخبرنا أنه اعتاد أن يتنقل بالسيارات الكبيرة البطيئة، وحكى تجربته في ركوب سيارة صغيرة مع

---

(١) نفسه، ٢/ ٣٧٠.

(٢) نفسه، ٢/ ١٢٥.

سائق متهور، ومما قاله عن تلك التجربة: "وما فَتئتْ عيني مثبتةً إلى العدَّاد، وكلما رمتُ صرفَها عن العدَّاد انجذبتْ إليه بقوةٍ مغناطيسية عجيبة، ورأيتني بعدئذ أدَوِّم وأحَوِّم بين المقعد وسقف السيارة، وأردتُ أنْ أتشبث بأحدهما، ولكني تشبثتُ عن غير قصد ولا معرفة (بالفرملة)، فإذا السيارة تصعد، حتى لَـخِفتُ أنْ نعْرج إلى الفضاء، ثمَّ تهبط بعنف، وإذا إحدى عجلاتها قد فثأت غيظها، وتبخَّر هواؤها" [(١)].

دارت الأحداث السابقة في منتصف الستينيات الهجرية من القرن الماضي، ولم تكن أكثر الطرق معبدة حينها، ولهذا فإن سرعة تلك السيارة كانت خطيرة جدًّا، فقد كانت تتمايل وتهتز اهتزازًا عنيفًا، فخاف حسين سرحان، ولم يرغب في تنبيه السائق، فقرر التشبث بأحد أجزاء السيارة، واختار أن يتشبث بالمكابح اليدوية، وجذبها دون أن يعرف وظيفتها، ومن المعلوم أنه من غير المناسب استعمالها عند السرعات العالية، وتكمن مفارقة الحدث هنا أنه فعل ذلك بقصد الاستقرار والسلامة من الخطر، وذلك دون أن يطلب من السائق تخفيف سرعة السيارة، لكي لا يعاتبه السائق، ولم يعلم حسين سرحان أنه كاد يقود نفسه ومن معه إلى نقيض مقصوده، فقد اختل توازن السيارة، وارتفعت وهوت، وانفجرت إحدى عجلاتها، وغضب عليه السائق غضبًا شديدًا.

٢-المفارقة الدرامية:

الدراما هي صراع يقوم على التناقض، ويتمثل في الانتقال من موقف إلى موقف مقابل، وهي تتصف بالحركة والموضوعية والتجسيد [(٢)]، وارتبطت المفارقة الدرامية في

---

(١) نفسه، ٣٥٦/٢.

(٢) انظر: إسماعيل (عز الدين)، الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط٣، القاهرة، د. ت، ص٢٧٩-٢٨١.

الأساس بالمسرح، ولهذا تسمى أيضًا مفارقة سوفوكليس نسبة إلى كاتب التراجيديا اليوناني المشهور [١].

ويشترط في مفارقة الدراما ثلاثة شروط، أولها: توفر توتر في العمل القصصي، يتمثل في شخصية غافلة تقابلها شخصية أو ظروف أقوى منها. وثانيها: أن تكون تلك الشخصية الغافلة جاهلة بحقيقة الظروف المحيطة بها. وثالثها: أن يكون الجمهور على علم تام بالوضع الحقيقي للشخصية الغافلة [٢].

وتقترب هذه المفارقة من مفارقة الأحداث، ولكن مفارقة الأحداث تكتمل بظهور خيبة أمل الضحية، والمفارقة الدرامية موجودة قبل ظهور النتيجة، فالجمهور على علم بها [٣].

وتتحقق المفارقة الدرامية عندما نرى الضحية في غفلة عما يدور حولها [٤]، ويتنافر ما يظهر لها وما تتوقع ظهوره [٥]، أو بتعبير أشمل تتحقق في التنافر بين مظاهر الأشياء وحقيقتها [٦].

وتُوظف هذه المفارقة لنقل الأفكار بطريقة غير مباشرة بالاستفادة من عنصر الصراع، وهنا يشعر المتلقي بالإثارة والتشويق عندما يأخذ دور مراقب الأحداث الذي يعرف ما لا تعرفه الضحية، ويترقب ردة فعلها.

---

(١) انظر: المفارقة والأدب، ص٢٩.

(٢) انظر: نفسه، ص٣٠.

(٣) انظر: نفسه، ص٣١.

(٤) تعد الغفلة من أبرز خصائص المفارقة. انظر: موسوعة المصطلح النقدي، ٤/٤٥.

(٥) انظر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٦٧.

(٦) انظر: المفارقة والأدب، ص٣٠.

والمفارقة الدرامية تحضر في مقالات حسين سرحان القصصية، ولا يظهر فيها التعاطف مع الضحية، بل يغلب أن تمتزج بالسخرية منها، ومثال ذلك ما نجده في مقالة (الحلاق ميشال)، وفيها كان ذلك الحلاق ضحية تلك المفارقة، فقد فكَّر حسين سرحان في طريقة يتخلص بها من ثرثرة ذلك الحلاق، فقرر أن يهاجمه بسيل من الأسئلة الشخصية بدلا من أن يتلقاها، وعن ذلك يقول: "وعندما دلفتُ إليه ... أسررتُ في نفسي أمرًا، وأنا امرؤ أمقتُ الثرثرةَ من جانب الآخرين، أمَّا إذا كانت مني فلا مانع، جلستُ على الكرسي، فما كاد يدير رأسي ويأخذ عُدَّته حتى أمطرته بسيل جارف من الأسئلة التي لا تتركه يبلع ريقه، سألته عن حصيلهِ اليومي من عمله، وعن أجرة صالونهِ، ما مقدارها؟ وهل هو متزوج أم أعزب؟ وكم أولاده؟ وعن بيته، وأين يقع؟ وهكذا من الأسئلة، لا تتجاوز شخصه، ولا أحصيها إلا للمثال حتى أدرتُ رأسَه قبل أن يدير رأسي" [(١)].

تعددت الأسئلة التي طرحها حسين سرحان على الحلاق، واكتفينا ببعضها رغبة في الإيجاز، وقد توهَّم الحلاق أن السائل حريص على التعرف عليه، ولهذا كان يجيب بحماسة وتركيز مع ما كان يجده من المشقة في مواجهة ذلك السيل من الأسئلة، وعن ذلك يقول حسين سرحان: "وتركته يلهث ويدوِّم وهو يعطي الأجوبة المختلفة السريعة حينًا والمتأنية حينًا آخر... وكنتُ لا أميز -بطبيعة الحال- بين صادق أجوبته وكاذبها، ولا يعنيني ذلك، المهم أنّي قلبتُ دماغَه قلبًا مفجعًا، وتركته لا يستريح لحظة واحدة"[(٢)].

ويدرك القراء أنَّ في النص السابق غفلتين: غفلة مصطنعة عند حسين سرحان، وغفلة حقيقية عند الحلاق. ويشعرون بموقف هذا الحلاق المخدوع، ويترقبون بقية

---

(١) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٢/٣٨٩-٣٩٠.

(٢) نفسه، ٢/٣٩٠.

الأحداث، وعندها يتضح أنه أخذ يدرك -بعد ذلك- شيئًا مما يدور حوله، وعرف أن السائل لم يكن معنيًا بإجاباته، وكيف يكون كذلك وهو يسأله عن مهنته؟! وعن ذلك يقول حسين سرحان: "عندما أغمدَ مُوساه، وأمنتُ غائلتها، كنتُ قائمًا، فاستأنفتُ الجلوس، وتصنَّعتُ الجِدَّ، وقلتُ: أوه يا ميشال، نسيتُ سؤالا هامًّا، ما هي مهنتك؟! ففغر فمَه أشدَّ فغر رأيته في حياتي، وصار في وجهه لونٌ لم أره من قبل" [(١)].

يحمل السؤال السابق قدرًا عاليًا من السذاجة المغلفة بالسخرية، وذلك كما يدل المقام، فهو في محل الحلاق الذي فرغ قبل قليل من حلاقته، ومما يؤكد السخرية أيضًا تصريح حسين سرحان بأنه طرح سؤاله وهو يتصنع الجِدَّ، كما أنه خشي عواقب سؤاله، فلم يطرحه إلا بعد أن أغمد الحلاق موساه خوفًا من غضبه.

ونجد مفارقة درامية أخرى لها علاقة بالثرثرة أيضًا، ففي مقالة (برمَّانا) يحكي حسين سرحان أنه تضايق عندما سافر إلى إحدى الدول العربية من سائق سيارة أجرة ثرثار، فقد سأله حسين سرحان عن اسمه، فذكر السائق اسمه، ولكنه انطلق يتحدث عن نفسه وعائلته دون توقف، فتضايق حسين سرحان، وقاطعه بسؤال مفاجئ قائلا له: "ولكنْ ألا تعلم من أنا؟

-لا يا سيدي، إني أتشرف.

-أنا ابنُ جَلا وطلاع الثَّنايا [(٢)]!

---

(١) نفسه، ٢/٣٩٠-٣٩١.

(٢) هذا صدر بيت من مطلع قصيدة مشهورة لسُحيم بن وَثِيل الرياحي، وعجزه (متى أضع العمامة تعرفوني). انظر: الأصمعي (عبد الملك)، الأصمعيَّات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، د. ط، القاهرة، د. ت، ص١٧.

وأبصرتُه وهو يحدِّق فيَّ من مرآته، وقد بدا عليه شيء من الاستغراب لحظة، ثم قال: هل هذا اسمكم الكامل؟ فقلت له: أوه، كلا، إنَّ هذا الحرف الأول فقط من اسمي، ولو كتبتُ اسمي بأكمله لاحتاج ذلك إلى عدة صفحات، تستغرق ساعات كثيرة" [(١)].

أدرك حسين سرحان والقراء معه أن السائق وقع ضحية مفارقة درامية، فقد كان غافلا، يجهل أن ما قاله حسين سرحان ليس اسمه، ولكنه توهم ذلك، ومما يؤكد ذلك أنه سأل إن كان ما قاله حسين سرحان هو اسمه الكامل، فأجابه حسين سرحان بأسلوب ساخر بأن هذا هو الحرف الأول فقط من اسمه، وقد استمر على هذا المنوال في حديثه مع السائق، وقد عمقت السخرية أبعاد المفارقة؛ لأنها دفعت القراء إلى ترقب ردة فعل السائق الذي لم يدرك مطلقًا حقيقة كلام حسين سرحان، وظنه جادًّا فيما يذكره، ولكنه شعر بالشك في نهاية المطاف دون أن يكتشف الحقيقة.

وربما صار حسين سرحان نفسه ضحية المفارقة الدرامية كما في مقالة (كنتُ أتمنى أن أرى ابن آدم)، وفيها يخبرنا أنه كان يسمع في صِغَره النساء يتجاذبن مع جَدَّته أطراف الحديث عن أخبار المجتمع، ويكثر أن يُورِدن أخبارَ الرجال، وإذا لم يحببن موقفًا من رجل معين تعجبتْ جدَّتُه من حال ابن آدم أو ذمَّتْه، كأن تقول مثلاً: "ابن آدم لا يحفظ المعروف"، أو "ابن آدم لا يُشبِعُه إلا التُّراب"، أو "ما أشدَّ خساسةَ ابنِ آدم!". وكان حسين سرحان يظن أن ابن آدم الذي تتحدث عنه جدَّتُه هو رجل معين، وعن ذلك يقول: "انتابتني الحيْرة، وتجاذبتني عوامل مختلفة من الحَنَق والاشمئزاز منه، ودِدْت لو رأيتُ

(١) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٢/٣٦٢.

ابن آدم هذا ؛ لأبصر عن كَثَب على أيِّ نَمطٍ رُكِّب، وفي أيِّ خُلق استوى هذا المخلوق العجيب، وبتُّ لياليَ كثيرةً مُسهَّدًا مضطربًا" [١].

ترجع المفارقة الدرامية إلى التناقض بين موقف حسين سرحان الذي كان يجهل هوية ابن آدم، وظل يفكر في شأنه وقتًا طويلاً، وموقف القراء الذين يعرفون المقصود، ويتعجبون من سوء فهمه وغفلته، ونعرف بعد تتابع الأحداث أن جدَّته تنضم إلى القراء في التعجب، ويظهر ذلك في قوله: "وتسلَّلتُ يومًا إلى جدَّتي على فراغ منها، ولثمتُ جبينَها، وقلت: يا جدةُ! أين ابنُ آدم؟ إني أريد أن أراه ... نظرت إليَّ جدتي نظرةً ممسوخة خَلَت مِن كلّ معنى، وقالت بعد صَمْت: ماذا تقول يا بُنيّ؟ قلتُ وكِدتُ أجهش بالبكاء: ابن آدم، ابن آدم يا جدتي، أريد الآن أن أعرفه! وقامت جدتي لِتُصلي، وعَلِمتُ أنَّ سؤالي ذهبَ مع الريح!" [٢].

٣-مفارقة التقابل:

تقوم مفارقة التقابل على تصوير الاختلاف بين طرفين أو موقفين متضادين، يتبنى كل منهما نظرة تنقض النظرة الأخرى وتلغيها [٣]، والتضاد في هذه المفارقة يختلف عن التضاد الذي يدخل في البلاغة العربية تحت مسمى (الطباق) أو (المقابلة)، فالتضاد فيهما يقع بين ألفاظ معينة، بينما يشمل التضاد جزءًا من بنية النص الأدبي في مفارقة التقابل، وقد يشملها كلها.

---

(١) نفسه، ٣٥٣/٢.

(٢) نفسه، ٣٥٤/٢.

(٣) انظر: الرواشدة (سامح)، فضاءات الشعرية، المركز القومي للنشر، د. ط، إربد، ١٩٩٩م، ص٢٥.

وتتمثل هذه المفارقة في حضور موقفين متقابلين في النص الأدبي، يتأمل المتلقي حقيقتيهما، ثم ينحاز إلى أحدهما، ويرفض الآخر، وهذا يعمق البناء الفكري للنص، ويزيد ترابطه، فالمفارقة هنا "أداة أسلوبية فعالة في تنمية قوى التماسك الدلالي للنص، وذلك باعتبار بنية المفارقة جزءًا من بنية نصية أكبر، إنها أداة لإعلاء دور السياق ذاته الذي يكون المخاطب جزءا ضروريا منه" (١).

وتبرز مفارقة التقابل في مقالات حسين سرحان الاجتماعية التي يتناول فيها مشكلات المجتمع عن طريق المقارنة بين الجيلين القديم والجديد، وهو يعلن دائمًا انحيازه للقديم، فهذه المفارقة تعكس حزنه ورغبته في تغيير الواقع.

ومن أمثلة مفارقة التقابل مقالة (ترى الفِتيان كالنَّخل)، فهي تقوم برمتها على فكرة التقابل بين قوة الشبان في الأجيال العربية السابقة ونباهتهم مع قلة الإمكانات المادية، وضعف الشبان العرب في الجيل الحالي وخمولهم مع توفر تلك الإمكانات، وقدَّم حسين سرحان أمثلة من الماضي والحاضر تغذي تلك المفارقة، وكأنه يدعو إلى الأخذ بأسباب القوة، ومن تلك المقالة قوله: "وأنظرُ إلى علي بن أبي طالب -وهو غلام- وقد قتل مرحبًا، وأطاح برؤوس صناديد قريش! وأنظرُ إلى طرفة بن العبد، وقد برع في الشعر وتفرَّس وتمرَّس، وسخر بعمرو بن هند، ثم قُتِل قبل أن يبلغ الثلاثين! وأنظرُ إلى محمد بن القاسم بن محمد، وقد قاد الجيوش وفتح السند، وهو لم يتجاوز سبع عشرة سنة من عمره! أنظرُ إلى المتنبي، وقد عتا على من عتا، وتسنَّم ذروة الحكمة والتجارب في شعره، ثم اصطلمه قبل أن يبلغ الأربعين! ثم أنظرُ -حسيرًا كسيرًا- إلى فتياننا على رواءٍ وبهاءٍ وسناءٍ فيهم، فماذا أنظر؟ حطامٌ من الدنيا وتكالبٌ عليها" (٢).

---

(١) المفارقة القرآنية، ص٤٨.

(٢) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٧٦/٢.

وتستغرق مفارقة التقابل مقالة (كيف كنا قبل ثلث قرن؟)، وفيها يشير حسين سرحان إلى طريقة بناء الثقافة، ويذكر اتجاهين في القراءة عند جيلين من الأدباء في هذا العصر، يتمثل الأول في قراءة الجيل القديم، وعدَّ نفسه ممثلا لهذا الاتجاه، ووصف نفسه بأنه غزير القراءة، وأنه كان يحرص على قراءة كتب التراث، ولم يكتف بتخصص علمي دون آخر، وذكر كثيرًا من أسماء الكتب التي قرأها. وأما الاتجاه الآخر فيتمثل في قراءة بعض أدباء الجيل الجديد الذين اقتصروا في كثير من الأحيان على قراءة القصص والروايات والصحف. ويتضح أنه ينتصر للاتجاه الأول، وينعى على أصحاب الاتجاه الثاني تقصيرهم، وكأنه يدعوهم إلى قراءة الكتب الجادة، فهو يقول عنهم: "إنهم يقرأون ليوسف السباعي، وإحسان عبد القدوس، وتيمور، ونجيب محفوظ، ثم يقرأون لشراذم من الترجمات المغلوطة لكتَّاب الفرنجة الناشئين، ويقرأون الصحف العادية من هنا ومن هنالك، ثم يريدون بعد ذلك أن يتمكنوا من اللغة أشدَّ التمكُّن، وأن يكتبوا لا ليصبحوا كتَّابًا فحسب، وإنما ليصبحوا أساتذةَ جيل ونوابغَ يشار إليهم بالبنان" [(١)].

وتلفت النظر مقالة (طرائف)؛ لأنها تقوم على مفارقات تقابلٍ جزئية، وحسين سرحان يسميها طرائف بسبب غرابتها، ويتضح ذلك في قوله: "فمن طرائفنا-مثلا-أن يحاسب الأبُ أبناءه على السفاهة والبذاءة، وهو إذا اهتاج أو انفعل أشدُّ منهم سفاهة وبذاءة!! ومن الطرائف المعجبة أن نلعن الظالم وإذا استطعنا ردعناه أشدَّ الردع، ونحن أظلم منه أضعافًا مضاعفة! وهناك طريفة أخرى، فإنا نزدري المرتشي ونمقته، ومع ذلك فلو ضُوعفت لنا الرشوة إلى حدٍّ مُغْرٍ لقبلناها! وقد رأيت-مرة- رئيسًا مسؤول يتهدد ويتوعد من يحضر متأخرًا ويخرج مبكرًا .. ثم رأيته لا يستقر في موضعه" [(٢)].

---

(١) نفسه، ١٧٩/٢.

(٢) نفسه، ٨٢/٢.

تتمثل كل مفارقة من مفارقات التقابل السابقة في النهي عن الشيء القبيح مع المبادرة إلى فعله، وهكذا يكون أمامنا موقفان متقابلان، أحدهما يدل على النزاهة والأمانة، والآخر يدل على الفساد والخيانة، ويزداد عمق التضاد هنا في صدور الموقفين من طرف واحد؛ لأن الناهي عن الشيء لا يفعله في العادة، ومما مثَّل له حسين سرحان تحذير الأب لأبنائه من الأفعال والأقوال السيئة وهو يتصف بها إذا غضب، والنهي عن ظلمٍ معينٍ مع ارتكاب الناهي مظالم أشد، وازدراء المرتشي مع قبول مزدريه الرشوة، وحث الرئيس مرؤوسيه على البقاء في مكان العمل مع خروج ذلك الرئيس من مكان عمله.

٤-مفارقة السخرية:

تعد المفارقة خليطًا من التنافر والهجاء والسخرية والفن الضاحك [(١)]، وهذا لا يعني تطابق السخرية والمفارقة القائمة على السخرية، فتلك المفارقة لا تعني الهجوم المباشر على الضحية، ويضاف إلى ذلك أن صاحب المفارقة قد يتعاطف مع الضحية، ويشاركها مأساتها [(٢)].

ومفارقة السخرية تنهض على "موقف يناقض ما ينتظر فعله تمامًا؛ إذ يأتي الفعل مغايرًا تمامًا للوجهة التي يجدر بالإنسان أن يقوم بها" [(٣)]، وهكذا تنبع المفارقة هنا من التضاد الساخر فيها، وهو تضاد بين الفعل المتوقع الذي لم يحدث والفعل غير المتوقع الذي حدث.

---

(١) انظر: المفارقة، ص١٣٢.

(٢) انظر: نفسه، ص١٣٩.

(٣) فضاءات الشعرية، ص١٨.

ومفارقة السخرية تتضمن دلالات عميقة غير مباشرة، تجعل المتلقي يعيد تأمل النص لاستخراجها، وهذه المفارقة تضيف للنص بعدًا جماليًّا، فهي بطبيعتها تتناسب مع البناء السردي الذي تظهر فيه الشخصيات والأحداث، وتثير تلك المفارقة دهشة المتلقي بما فيها من انزياحات تصورية غير مألوفة، تظهر عندما يرى تلك الشخصيات، تقوم بتصرفات عجيبة غير متوقعة.

وتبرز ظاهرة السخرية في مقالات حسين سرحان، وتميل إلى أن تكون سخرية مُرَّة حزينة [(١)]، وأما مفارقة السخرية فتظهر في مقالاته الذاتية التي يكثر أن يسخر فيها من تصرفاته الشخصية، وتظهر أيضًا في بعض مقالاته الاجتماعية عندما يصف بعض التصرفات غير الصحيحة في المجتمع.

ومن أمثلة مفارقة السخرية من النفس قوله في مقالة (تجربة مُرَّة): "ارتدَّتْ عيني رغمًا مني إلى عدَّاد الكيلوات، فوجدته يتأرجح بين التسعين والمائة، وهنا استقرَّتْ عينيْ عليه بلا إرادة، فما تكاد تغمض عنه، وأوجعني جنبي، فأردتُ أن أحكَّه، فحككتُ جنبَ صاحبي الأيمن، ولو ازدادتِ الغلطةُ جانبًا، أو تجاوزتْ حدَّها، فحككتُ جنبَ السائق، لأسرعنا بلا توانٍ إلى الموت" [(٢)].

يصف حسين سرحان آثار الخوف الذي اعتراه عندما ركب مع سائق متهور، فقد جعله الخوف غير قادر على السيطرة على جوارحه وأعصابه، فلم يتمكن من صرف بصره عن عدَّاد السرعة، وتتمثل مفارقة السخرية في أنه لما آلمه جنبه حكَّ -دون وعي- جنب الراكب على يمينه، وهذا فعل غير منتظر، وقد صرَّح حسين سرحان نفسه بأن

---

(١) انظر: العوين (محمد)، المقالة في الأدب السعودي الحديث من سنة ١٣٤٣هـ إلى سنة ١٤٠٠هـ، دار الصميعي، ط٢، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٧١.

(٢) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٣٥٦/٢.

الذي فعله غلطة، ولا شك أن هذه المفارقة كشفت بطريقة غير مباشرة ما أصابه من ارتباك واضطراب بسبب الخوف.

ومن مفارقة السخرية من النفس أيضًا ما يذكره في مقالة (كَدمات وسَحَجات وبلسم)، وفيها يصف حاله بعد وقوعه عن الدرج، وعن ذلك يقول: "غشيتني الدماءُ، وأحسستُ بالجروح، وهي تنبض بالآلام! وأَعجبُ ما في الأمر أني طفقتُ أضحك في هَوسٍ غريب، وصدقَ من قال: إنَّ شر البلية ما يضحك" [(١)].

يتضح من النص السابق أن سقوط حسين سرحان من الدرج كان قويًّا، فقد أصيب بجروح عميقة، وسالت منه دماء كثيرة، وشعر بآلام شديدة، والمتوقع في مثل هذه الموقف أن يشعر بالحزن، ولكنه دخل في نوبة ضحك عجيبة، وهذا أمر يخالف المتوقع، فالضحك يرتبط بمواقف الدعابة أو المرح، ويبدو أن هذه المفارقة تكشف مدى ما أصابه من هول الصدمة الشديدة غير المتوقعة، فلم يعد عقله يستطيع السيطرة على مشاعره، فاندفع يضحك بدلا من أن يشكو ألمه.

وقد تكون السخرية عامة، ومثال ذلك قوله في مقالة (مانيكان): "ومن المعلوم أن "المانيكان" عندما تعرض على المتفرجين أزياءها الجديدة الأنيقة، فإن المتفرجين -ولا سيما الرجال-لا ينظرون إلى هذه الأزياء بمقدار ما ينظرون إليها هي بالذات" [(٢)].

يتحدث النص السابق عن (المانيكان)، وهي الدمية التي تكون على هيئة إنسان، وتعرض عليها الملابس في المحلات التجارية، وحسين سرحان يرى أن كثيرًا من الرجال يحدقون في تلك الدمية، وينصرفون عن النظر عما عليها من ملابس، وهذا التصرف

---

(١) نفسه، ٢/١٨٦-١٨٧.

(٢) نفسه، ٢/١٧٠.

خلاف المتوقع، والمفارقة هنا تكشف سخرية ضمنية من أولئك الرجال الذين يتعلقون بما لا طائل من وراءه ولا منفعة فيه.

وقد تكون السخرية من إحدى الشخصيات، ففي مقالة (تعالَ معي إلى الطائف!) يصف الناس في الطرقات، ويتوقف عند شخصية معينة، ويقول: "وهذا موظف أنيق الهندام، يضع نظارته السوداء على عينيه في الليل، سواد في سواد، ترى ماذا يمكنه أن يبصر بها؟ ما أشد عنايته بنفسه! وما أكثر التفاته إلى ما يختلُّ أو يختلف من شكله حتى يبادر مسرعًا إلى إصلاحه وتسويته!" [(١)].

حفلت المقالة السابقة بوصف تفصيلي لعدة شخصيات، ومنها شخصية الموظف، وسُخِر منه؛ لأنه كان يضع على عينيه نظارة سوداء في الليل، وهذا تصرف غير متوقع، فمن المعلوم أن تلك النظارة تحجب أو تقلل مرور أشعة الشمس إلى العينين، والحاجة إليها منتفية في الليل، بل سوف تسبب حينها صعوبة شديدة في الإبصار، وتظهر نبرة السخرية عندما وصف حسين سرحان حال الموظف بأنه سواد في سواد، ويبدو أنه وضعها من باب التأنق أو التباهي، فحسين سرحان نفسه يصرح بأن ذلك الموظف شديد العناية بمظهره، والمعنى العميق الكامن في هذه المفارقة أن العناية بالمظهر ينبغي ألا تكون على حساب المخبر، وأن إرضاء الآخرين ينبغي ألا يكون على حساب النفس.

٥-مفارقة الاستحقاق:

تظهر هذه المفارقة عندما نجد "الحق لا يؤول إلى أصحابه، أو من هو جدير به، لكنه يؤول إلى أقل الناس جدارة" [(٢)]. وتنطلق مفارقة الاستحقاق من فكرة التنافر بين

---

(١) نفسه، ٢/٥٩-٦٠.

(٢) فضاءات الشعرية، ص٢٧.

الفعل والجزاء حيث لا ينال الحق أصحابه، وقد يُؤخر من هو أجدر بالتقديم، ويُقدَّم من هو أجدر بالتأخير.

وتتميز هذه المفارقة بطابعها المأساوي؛ لأن الصراع ينتهي فيها نهاية حزينة، تجعل المتلقي يشعر بالدهشة مع شعور بالشفقة أو الخوف، ويتطهر بذلك من نوازع الظلم، وهذا يؤكد الوظيفة الإصلاحية للمفارقة [(١)].

وتبرز هذه المفارقة في مقالات حسين سرحان ذات الطابع السردي، وبخاصة مقالاته السياسية التي كتبها عن قضية فلسطين [(٢)]، وعلى سبيل المثال يقول في مقالة (وكيف كان كذلك؟!): "فهات رجلا عاش قبل مائة عام مثلاً، وقُل له: إن في الدنيا بلادًا، يسكنها أهلها منذ مئات السنين، وقد قام العالم قومة واحدة، وأولجوا على أهل هذه البلاد دخلاءَ أدعياءَ، فما زالوا يتكاثرون، حتى أقاموا دولةً منهم -وما يزالون أقلية- على رغم أنوف أهل البلاد الأصليين، وقام العالم مرة ثانية فأقرَّ هذه الدولة، واعترف بها راميًا بحقوق أهل البلاد عرض الحائط، فإن هذا السعيد الذي مات قبل مائة عام سيفغر فاه من الدهشة، وينعقد لسانه من الارتياع، ولا يملك إلا أن يقول -إن كان ما يزال محتفظًا بأعصابه-: وكيف كان ذلك؟!" [(٣)].

يشير حسين سرحان إلى تاريخ فلسطين، ويذكر أحقية العرب بأرضها، فهم أهلها الأصليون منذ قرون بعيدة، ولكنهم لم ينالوا حقهم، وسُلِبت أرضهم منهم، وآلت إلى

---

(١) يرى ميويك أن للمفارقة دورًا إصلاحيًّا بما فيها من خصائص تجعلها تشبه أداة التوازن. انظر: موسوعة المصطلح النقدي، ١٢٥/٤.

(٢) انظر: الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، مقالات: (هذه ضمائرهم.. يا فلسطين)، ٦٥٦/٣-٦٥٧. و(الصهيونية.. وعام ألفين)، ٦٦٦/٣-٦٦٧. و(العشبة الغريبة)، ٦٧٠/٣-٦٧١.

(٣) نفسه، ٦٥٩/٣.

شرذمة دخلاء أدعياء، وقد ناصرتهم كثير من دول العالم، فوَهَبَ مَن لا يَـمْلك مَن لا يستحق، وهنا تكمن مفارقة الاستحقاق، وهي تمتزج بالتناقض والغرابة، ويدل على ذلك وصف الرجل الذي يستمع إلى الأحداث بأنه سعيد؛ لأنه لم يدركها، وانفتاح فمه علامة سيميائية تدل -في لغة الجسد- على تعجبه ودهشته، ويؤكدهما أيضًا سؤاله (وكيف كان ذلك؟!) الذي تكرر عدة مرات في المقالة، وهذا يذكرنا بحكايات (كليلة ودمنة) التي تكرر فيها أيضًا ذلك السؤال على ألسنة شخصياتها [١]، وهذا التناص يومئ إلى غرابة الأحداث السياسية المعاصرة، وكأنها تدخل في باب العجائبي الذي لا يصدق، وبهذه المفارقة استطاع حسين سرحان إيصال فكرته للمتلقي بأسلوب غير مباشر.

وتدور مقالة (حكاية تتلوها حكايات!!) حول نديم كبير في السن، اعتاد أن يقول للحاكم ما يوافق هواه، وعلى سبيل المثال مدح الحاكم الملوخية فمدحها النديم، وذمها الأول فذمها الآخر، وكان ذلك في المجلس نفسه، فدار بينهما هذا الحوار: "يا عجبًا أيها الشيخ! إني أمدح الملوخية، فتأتي أنت وترفعها إلى السماء، ثم أذمّها فإذا بك تهبط بها إلى الحضيض. لكن الشيخ كانت جلدةُ وجهه كأدِيمٍ قُدَّ من مِسْلاخ ذئبٍ أغْبر، لم يتلوَّن، ولم يتغير، ولم تهتز فيه نبضة أريحية أو حياء. قال: أجل، ثم أجل إلى نهاية الآجال، إنك أنت سيّدنا، وليست الملوخية بسيّدتنا على أي حال" [٢].

تعجب الحاكم من سرعة تقلب آراء نديمه، والمفارقة أنها تنتقل من النقيض إلى النقيض، واستفسر منه عن السبب، فلم يشعر النديم بالحرج بسبب ما وقع فيه من التناقض، واعترف بذلك، وصرَّح بأنه مُصِرٌّ على ذلك طوال عمره، فالأهم هو

---

(١) تكرر فيها هذا السؤال أربعين مرة تقريبًا. انظر: ابن المقفع (عبد الله)، كليلة ودمنة، تحقيق: عبدالوهاب عزام، دار الشروق، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٢) الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة، ٤١٨/٢.

تصويب رأي سيّده الحاكم، وليس البحث عن الصواب، فهذا موضوع غير مهم في رأيه. وهذا الحوار يكشف أن ذلك الشيخ ليس مناسبًا لمنادمة الحاكم، وجوابه يوحي بأنه ليس على قدر عالٍ من الأمانة والنصح للحاكم، وكان يستحق أن يجازى بالإبعاد عن مجلس الحاكم نظير كذبه وتلوّنه، ولكننا نجده بعد ذلك يحصل على جزاء يضاد ما نتوقع، وهنا تتجسد مفارقة الاستحقاق، فقد زاده الحاكم تكريمًا وتقريبًا؛ إذ جاء في المقالة بعد ذلك: "أمر له الحاكمُ بأن تُخصص له موارد كذا وكذا، وأن يُعطى مثل ذلك، وأن يكون له على الدوام نديمًا خديمًا"[(١)].

وقد تظهر مفارقة الاستحقاق عند حديث حسين سرحان عن شخصية معينة، ومثال ذلك ما كتبه في مقالة (الدكتور زكي مبارك)، وفيها أبَّن الراحلَ، وأبرز مكانته الأدبية والنقدية وما كتبه لمجلة الرسالة، وتعجَّب من كونها لم تعطه تأبينًا مناسبًا، وأن مؤلفاته لم تلق عناية القراء، وعن ذلك قال: "كان له في بناء مجلة الرسالة شأنٌ أيّ شأن، لم يكن من كفائهِ أن تكتب الرسالةُ عنه تلك الكلمةَ التي كانت تحمل عليه أكثر مما تنتصف له فيها، ولم يزل بمصر مهضومَ الحق، مغموط الجانب، في الوقت الذي فيه تتوقَّح بُغَاث الأدب بالاستنسار، وتتطاول فيه خنافس الثقافة بالاستذآب والاستنكار!"[(٢)].

تكمن مفارقة الاستحقاق في النص السابق في إشارته إلى قلة تقدير المجلة لجهود زكي مبارك بعد وفاته مع أن المتوقع هو أن تشيد بجهوده؛ لأنه كان من روادها، وممن أثروها بكتابة مقالات نقدية رصينة على مدى سنوات من عُمر المجلة، وتكمن في إشارته أيضًا إلى أن الواقع يشير إلى انصراف الناس عن قراءة مؤلفات زكي مبارك القيّمة إلى

---

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) نفسه، ٣/٦٣٤-٦٣٥.

مؤلفات أخرى أدنى منها قيمة، وذلك مع أن الأولى هو الإقبال على الأعلى قيمة، فقد انقلبت المفاهيم، فأخذ البُغَاث مكانة النسر، وأخذت الخنافس مكانة الذئاب [١].

(١) يتناص هنا مع المثل المشهور: "البُغَاث بأرضنا يَسْتَنْسر". انظر: العسكري (الحسن)، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١/٢٣١.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، أما بعد:

فقد وصل هذا البحث إلى نهايته، ونورد هنا أبرز نتائجه:

١. المفارقة ممارسة قديمة، وقد تداخلت عند القدماء مع بعض المصطلحات الأخرى، وأخذ مفهومها الجديد يتشكل عند النقاد الأوربيين في العصر الحديث.

٢. للمفارقة قسمان: مفارقة لفظية، ومفارقة موقف. وفيهما يحدث انقلاب في الدلالة أو الموقف، فينتج معنيان متضادان أو متنافران: أحدهما ظاهر، والآخر خفي.

٣. تحضر المفارقة في مقالات حسين سرحان حضورًا لافتًا، ويعود ذلك إلى أنه يتميز بموهبة أدبية رفيعة في الشعر والنثر، وأنه يتصف بطبيعة نفسية ساخرة، تميل إلى التأمل والمقارنة، وأنه شهد كثيرًا من التقلبات الاجتماعية والسياسية، وأن المقالة طاوعته على استيعاب أنواع متعددة من المفارقة بما في المقالة من مرونة، فهي تجمع صفات الشعر والسرد.

٤. تميل المفارقة اللفظية إلى الوضوح، وهي تقوم على انقلاب في دلالات الألفاظ والتراكيب، ويغلب أن يوظف صانع المفارقة ذلك الانقلاب توظيفًا هجائيًّا.

٥. تتعدد أنواع المفارقة اللفظية، ومن أكثرها حضورًا في مقالات حسين سرحان: مفارقة العنوان، ومفارقة التضاد الدلالي، ومفارقة التشبيه، ومفارقة التناص، ومفارقة المدح بدل الذم.

٦. ترتبط مفارقة العنوان باللغة الشعرية، وتظهر في عناوين مقالات حسين سرحان الذاتية رغبة في جذب المتلقي، وقد تكون بسبب عدم وضوح علاقة العنوان بالنص مع وجود دلالة عميقة بينهما، أو بسبب عدم وضوح بنية العنوان الداخلية مع وجود دلالة عميقة لها.

٧. تعمل مفارقة التضاد الدلالي على إثارة المتلقي وتعميق الصراع في النص الأدبي، وتبرز في مقالات حسين سرحان التأملية الفلسفية.

٨. تكمن مفارقة التشبيه في جمع الأطراف المتنافرة أو المتباعدة، ويغلب أن تقترن بالسخرية، وتوظف لتعميق المعنى وإثراء الخيال وإدهاش المتلقي، وتبرز في مقالات حسين سرحان الاجتماعية.

٩. تتضمن مفارقة التناص عدولا إلى نص آخر، ويزداد تأثيرها عندما يتنافر سياقا النصين، وهي تحفز المتلقي إلى البحث عن العلاقة بينهما، وتهدف إلى تأكيد المضامين وتوسيعها، ولا ترتبط هذه المفارقة بنوع معين من مقالات حسين سرحان.

١٠. تقوم مفارقة المدح بدل الذم على السخرية والتضاد بين ما يقال وما كان يتوقع أن يقال، ويوظفها حسين سرحان في مقالاته الاجتماعية تجنبًا للانتقاد المباشر.

١١. تميل مفارقة الموقف إلى الغموض، ويختفي صانعها، ويظهر المراقب والضحية، وتحصل بسبب انقلاب يحدث مع مرور الوقت، ولهذا يغلب أن ترتبط بالسرد، وتوظف توظيفًا كوميديًّا أو مأساويًّا أو فلسفيًّا.

١٢. تتعدد أنواع مفارقة الموقف، ومن أكثرها حضورًا في مقالات حسين سرحان: مفارقة الأحداث، والمفارقة الدرامية، ومفارقة التقابل، ومفارقة السخرية، ومفارقة الاستحقاق.

١٣. تنتج مفارقة الأحداث عندما تقود أفعال الشخصية إلى نتائج غير متوقعة، ويكون المتلقي على جهل بمصيرها، فيشعر بالدهشة، وتظهر في بعض مقالات حسين سرحان القصصية التي يسرد فيها بعض المواقف من حياته، ويغلب أن يكون هو ضحية تلك المفارقة.

١٤. تكون الشخصية في غفلة عمَّا يدور حولها في المفارقة الدرامية، والجمهور على علم بوضعها، وتُوظف لنقل الأفكار بطريقة غير مباشرة، كما توظف لإثارة المتلقي بجعله يأخذ دور المراقب، وهي تحضر في مقالات حسين سرحان القصصية، ويغلب أن تمتزج بالسخرية من الضحية.

١٥. تقوم مفارقة التقابل على تصوير موقفين متضادين، وذلك يساعد على تماسك النص، ويدعو المتلقي بطريقة غير مباشرة إلى الانحياز إلى أحدهما، وتبرز في مقالات حسين سرحان الاجتماعية، وبخاصة عندما يقارن بين الماضي والحاضر.

١٦. تختلف السخرية عن مفارقة السخرية، فالأخيرة تتمثل في القيام بفعل غير مناسب، يناقض ما يُنتظر فِعله، وتتميز بقدرتها على جذب المتلقي بما فيها من إدهاش كوميدي، وتبرز في مقالات حسين سرحان الذاتية التي يكثر أن يسخر فيها من تصرفاته الشخصية.

١٧. تنطلق مفارقة الاستحقاق من فكرة التنافر بين الفعل والجزاء، وتتخذ طابعًا مأساويًا، يفاجئ المتلقي، ويحثه على التطهر والتحرر من نوازع الظلم، وتبرز في مقالات حسين سرحان السياسية التي تميل إلى السرد.

وأوصي في خاتمة البحث بما يلي:

١. إعادة قراءة مباحث البلاغة العربية بأدوات حديثة لمحاولة الوصول إلى نظريات جديدة.

٢. دراسة حجاجية المفارقة وقدرتها على الإقناع من منظور تداولي.

٣. إجراء دراسات مقارنة بين المفارقة في الأدب العربي وغيره من الآداب.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

[١] ابن أبي الإصبع (عبد العظيم)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، مصر، د. ت.

[٢] ابن أبي ربيعة (عمر)، ديوانه، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، المكتبة الأزهرية، د. ط، القاهرة، د. ت.

[٣] ابن الأثير (نصر الله)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د. ط، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

[٤] ابن المقفع (عبد الله)، كليلة ودمنة، تحقيق: عبد الوهاب عزام، دار الشروق، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

[٥] ابن منظور (محمد)، لسان العرب، دار صادر، د. ط، بيروت، د. ت.

[٦] أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، القاهرة، د. ت.

[٧] إسماعيل (عز الدين)، الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط٣، القاهرة، د. ت.

[٨] الأصمعي (عبد الملك)، الأصمعيَّات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، د. ط، القاهرة، د. ت.

[٩] أفلاطون، جمهورية أفلاطون، ترجمة: حنا خباز، مؤسسة هنداوي، ط١، القاهرة، ٢٠١٧م.

[١٠] امرؤ القيس (حندج)، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٥، القاهرة، د. ت.

[١١] بلعابد (عبد الحق)، عتبات: ج. جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[١٢] بن صالح (نوال)، جماليات المفارقة في الشعر العربي المعاصر: دراسة نقدية في تجربة محمود درويش، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط١، عمَّان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٦م.

[١٣] الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، ط١، جدة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

[١٤] الحيدري (عبد الله)، آثار حسين سرحان النثرية: جمعًا وتصنيفًا ودارسة، النادي الأدبي، د. ط، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[١٥] الحيدري (عبد الله)، ظاهرة السخرية في نثر حسين سرحان مع موازنة بينه وبين المازني، مطابع الحميضي، ط١، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

[١٦] الرواشدة (سامح)، فضاءات الشعرية، المركز القومي للنشر، د. ط، إربد، ١٩٩٩م.

[١٧] زايد (علي)، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مطبعة ابن سينا، ط٤، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[١٨] الساسي (عبد السلام)، شعراء الحجاز في العصر الحديث، النادي الأدبي، ط١، الطائف، ١٣٧٠هـ.

[١٩] ساعاتي (يحيى)، من مقالات حسين سرحان، النادي الأدبي، د. ط، الرياض، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

[٢٠] سرحان (حسين)، الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأديب الكبير الأستاذ حسين سرحان، اثنينية عبد المقصود محمد سعيد خوجة، د. ط، جدة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

[٢١] سرحان (حسين)، ديوان (أجنحة بلا ريش)، د. ط، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

[٢٢] سرحان (حسين)، ديوان (الصوت والصدى)، النادي الأدبي، د. ط، الطائف، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

[٢٣] سرحان (حسين)، ديوان (الطائر الغريب)، النادي الأدبي، د. ط، الطائف، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

[٢٤] سرحان (حسين)، في الأدب والحرب، النادي الأدبي، د. ط، الطائف، ١٣٩٨هـ.

[٢٥] سليمان (خالد)، المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، ط١، عمَّان، ١٩٩٩م.

[٢٦] شبانة (ناصر)، المفارقة في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.

[٢٧] شوقي (سعيد)، بناء المفارقة في الدراما الشعرية، إيتراك للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م.

[٢٨] العبد (محمد)، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، د.ط، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

[٢٩] عبد المطلب (محمد)، كتاب الشعر، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

[٣٠] عبد المقصود (محمد) وبلخير (عبد الله)، وحي الصحراء: صفحة من الأدب العصري في الحجاز، الناشر: عبد المقصود محمد سعيد خوجة، ط٢، جدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٣١] العسكري (الحسن)، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

[٣٢] العوين (محمد)، المقالة في الأدب السعودي الحديث من سنة ١٣٤٣هـ إلى سنة ١٤٠٠هـ، دار الصميعي، ط٢، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

[٣٣] فراي (نورثرب)، تشريح النقد: محاولات أربع، ترجمة: محمد عصفور، الجامعة الأردنية، د. ط، عمَّان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

[٣٤] القزويني (جلال الدين)، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

[٣٥] القيرواني (الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

[٣٦] كرم (يوسف)، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. ط، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

[٣٧] كريسطيفا (جوليا)، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، ط٢، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

[٣٨] مجموعة من المؤلفين، آفاق التناصية: المفهوم والمنظور، ترجمة: محمد خير البقاعي، جداول للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠١٣م.

[٣٩] مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

[٤٠] مجموعة من المؤلفين، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، د. ط، الرياض، ١٤٣٥هـ.

[٤١] مجموعة من المؤلفين، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.

[٤٢] المحسن (أحمد)، شعر حسين سرحان: دراسة نقدية، النادي الأدبي، د. ط، جدة، ١٤١١هـ.

[٤٣] ناظم (حسن)، مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت-الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

[٤٤] هيرنادي (بول)، ما هو النقد؟، ترجمة: سلافة حواجي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٩م.

[٤٥] ويليك (رينيه)، تاريخ النقد الأدبي الحديث، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المجلس الأعلى للثقافة، د. ط، القاهرة، ١٩٩٩م.

[٤٦] يوسف (حسني)، المفارقة في شعر عَدِي بن زيد العِبادي: دراسة نظرية تطبيقية، الدار الثقافية للنشر، ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

[٤٧] يوسف (محمد)، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

ثانيًا: الدوريات:

[٤٨] إبراهيم (نبيلة)، المفارقة، مجلة فصول، القاهرة، المجلد٧، العددان٣-٤، إبريل سبتمبر ١٩٨٧م.

[٤٩] الخطيب (أحمد)، المفارقة في المجموعة القصصية (البحث عن زيزياء) لجمال أبي حمدان، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، غزة، مج ٢٧، ع١، يناير ٢٠١٩م.

[٥٠] سعدية (نعيمة)، شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد١، يونيو ٢٠٠٧م.

[٥١] قاسم (سيزا)، القص العربي المعاصر، مجلة فصول، القاهرة، المجلد٢، العدد٢، يناير، فبراير، مارس ١٩٨٢م.

□

The irony in Hussein Sarhan's articles

Dr.Waleed Abdullah Mesfer Aldosary
Associate Professor of Criticism and Methodology of Islamic literature
College of Education in Al-Kharj
Prince Sattam bin Abdulaziz University

Abstract:
This research will study the types of irony in Hussein Sarhan's articles, in order to identify the features of paradox there, determine its functions, and clarify its ability to achieve aesthetics in those articles.
This research is based on constructive method , and it consists of two points: the verbal irony and the situational irony.
Verbal irony is a form of saying, in which a meaning is given, while another meaning is intended, which often contradicts the apparent superficial meaning, and it has several types, which are: title, word and against it, simile, intertextuality, and praise instead of blame.The Situational irony is due to a situation or event that is seen in the framework of the irony, and it has several types, which are: events, dramatic, confrontation, ridicule, and merit.
Key words: Irony, construction, article, literary races, Saudi literature.